الجواهر المعدّة في فضائل جدّة

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الجواهر المعدة

في فضائل جدة

تأليف

أحمد بن محمد بن أحمد الحضراوي المكي الشافعي
ت ١٣٢٧هـ

تحقيق

الدكتور علي عمر
بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعتي
المنيا والإمام بالرياض

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

رقم الإيداع	٢٠٠٢/٧٧٠٦
I . S . B . N الترقيم الدولى	977-341-065-x

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر - القاهرة
ت: ٥٩٢٢٦٢٠ - ف: ٥٩٣٦٢٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

لا نعرف عن بداية الكتابات عن جُدّة سوى ما ورد فى كتب البلدان والرحلات.

ومن أوائل من كتب عن جُدّة الفاكهى ـ من علماء القرن الثالث الهجرى ـ فقد وردت لديه شذرات عن جدة، تحت عنوان «ذكر جدة والتحفظ بها وبما فيها وأنها خزانة مكة».

وكذلك ما ورد لدى البكرى المتوفى سنة ٤٨٧هـ، فى معجم ما استعجم.

وكذلك ما ورد لدى ابن جبير المتوفى سنة ٦١٤هـ، فى رحلته.

ولدى ياقوت المتوفى سنة ٦٢٦هـ فى معجمه، وكلها شذرات أوردها كل منهم عند موضعها فى ترتيب المادة التى تناولوها، أو الأخبار التى ساقوها عن جدة.

كذلك كتب الفاسى المتوفى سنة ٨٣٢هـ عن فضل المرابطة بجدة، وعن أول من جعل جدة ساحلاً لمكة.

كذلك لا نعرف عن بدايات التأليف فى تاريخ جدة ـ وخاصة المؤلفات التى أفردت للحديث عن تاريخ جدة ـ سوى مؤلف لقاضى القضاة بالحرمين الشريفين نجم الدين محمد بن يعقوب المالكى المتوفى سنة ٧٩٠هـ، وهو «تنسم الزهر المأنوس عن ثغر جدة المحروس».

وكذلك مؤلف عن جدة وأحوالها لجار الله بن فهد المتوفى سنة ٩٥٤هـ.

ثم تتابعت الكتابات فى تاريخ جدة فكتب ابن فرج المتوفى سنة ١٠١٠هـ، رسالة عن جدة هى «كتاب السلاح والعدة فى تاريخ بندر جدة».

كما كتب جمال بن عمر المكى المتوفى سنة ١٢٨٤هـ كتابًا عن جدة بعنوان «الفرج بعد الشدة فى تاريخ جدة».

كذلك كتب الحضراوى المتوفى سنة ١٣٢٧هـ فى تاريخ جدة، وله عنها كتابان:

أحدهما فى «المفاضلة بينها وبين الطائف» والثانى «الجواهر المعدة فى فضائل جدة وتاريخها» وهو الكتاب الذى نقدم له اليوم.

وقد اتخذ الحضراوى من رسالتى ابن فهد، وابن فرج مصدرًا عوَّل عليه، كما أفاد كذلك من ابن ظهيرة المكى المتوفى سنة ٩٤٠هـ فى تاريخه عن جُدة.

المؤلف ونسبة الكتاب إليه[(١)]:

هو: أحمد بن محمد بن أحمد الحضراوى، ولد فى الإسكندرية سنة ١٢٥٢هـ، ثم انتقل مع والده إلى مكة، وعمره سبع سنين، فنشأ بها وتأدب وتفقه، وألف مؤلفات فى الدين وفى التاريخ وفى فضائل مكة والمدينة والطائف وجدة، وقد توفى سنة ١٣٢٧هـ.

وقد حوت رسالته هذه جل ما يتعلق بتاريخ جدة، فهى أوفى ما كتب فى الموضوع، ومع احتوائها على أخبار لا تثبت أمام النقد إلا أن للحضراوى بعض الآراء الجيدة التى منها ملاحظته على الحكاية الخرافية التى ذكرها ابن المجاور فى تاريخه عن انتقال أهل مدينة جدة من الفرس، وأن سبب ذلك غلط أحدهم بإرسال الضريبة المقررة لحاكم مكة، وهى حمل من حديد فى كل عام، فأرسل بدل حمل الحديد حملاً من ذهب، مما دفع ذلك الحاكم إلى أن يتعنت فى طلب الضريبة فى العام التالى مماثلة لضريبة العام الذى قبله، فكان تعنته سببًا لانتقال التجار، وهى خرافة ما زال يرددها كل من كتب عن تاريخ هذه المدينة حتى فى عصرنا.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن ابن المجاور مع كونه مجهولاً، فإن فى كتابه خرافات كثيرة تجعله غير جدير بأن يعتمد فيما ينفرد بذكره، ولعله هو أول من ذكر تلك الخرافة.

ورغم ما أورده الحضراوى فى رسالته من اعتقاده بتأثير الأولياء والصالحين، ورغم ما فيها من بعض أشياء يدرك كل قارئ عدم صحتها فإن الغاية من نشرها إيجاد مصدر جديد لتاريخ جدة.

(١) اعتمدت فى كتاباتى هنا فى إيراد بعض فقرات مما كتبه الشيخ حمد الجاسر فى مجلة العرب ج ٥، ٦ السنة ١٣ - ١٣٩٨هـ.

هذا، وعنوان الرسالة كما ورد فى النسخة التى وصلت إلينا «الجواهر المعدة فى فضائل جدة[١]».

ومثل هذه التسمية لدى الزركلى فى الأعلام[٢].

وحينما شرعت فى تحقيق هذا الكتاب رجعت إلى نسخته المخطوطة فى خزانة شستربتى ورقمها ٣٧٢٢.

وكذلك إلى النسخة التى نشرت فى مجلة العرب سنة ١٣٩٨هـ.

كما رجعت إلى ما تيسر الحصول عليه من المصادر التى ذكرها، وما اقتضاه الأمر من الرجوع إلى الكتب الأخرى مما له صلة بموضوع الكتاب.

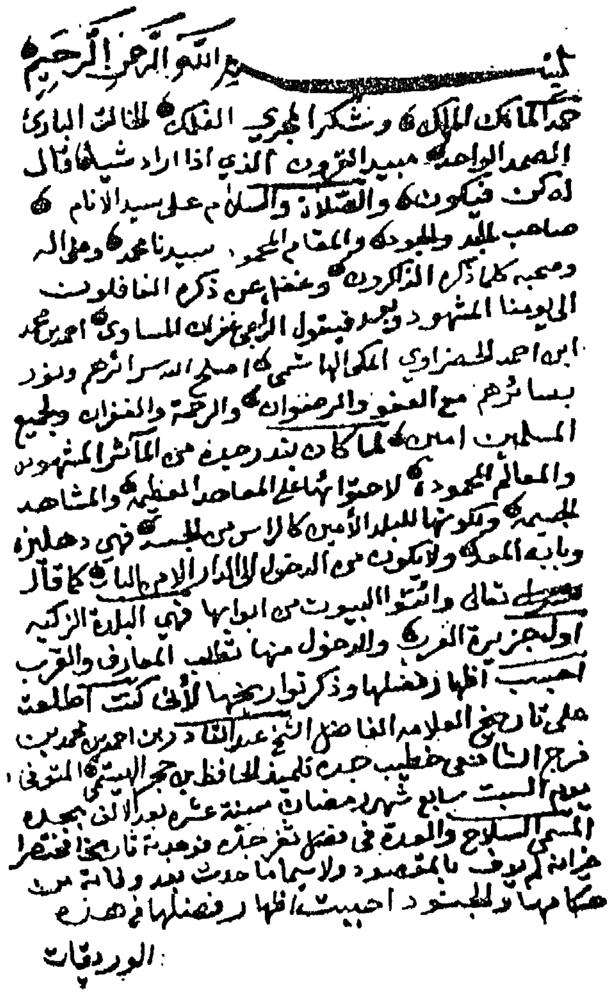
القاهرة فى أغسطس سنة ٢٠٠١م

د. على عمر

---

(١) انظر ص ١١ من كتابنا هذا.

(٢) الأعلام ج ١ ص ٢٣٦.



بسم الله الرحمن الرحيم
حمداً لمالك الملك، وشكراً لمجري الفلك، للخالق الباري
الصمد الواحد، مبيد القرون، الذي إذا أراد شيئاً قال
له كن فيكون، والصلاة والسلام على سيد الأنام
صاحب المجد والجود، والمقام المحمود، سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون
إلى يومنا المشهود، وبعد فيقول الراجي غفران المساوي أحمد بن محمد
ابن أحمد الحضراوي المكي الهاشمي، أصلح الله سرائرهم ونور
بصائرهم مع العفو والرضوان، والرحمة والغفران ولجميع
المسلمين آمين، لما كان بندر جدة من المآثر المشهورة
والمعالم المحمودة، لاحتوائها على المقاصد المعظمة، والمشاهد
المجسمة، ولكونها للبلد الأمين كالرأس من الجسد، فهي دهليزه
وبابه المعد، ولا يكون من الدخول إلى الدار إلا من الباب، كما قال
تعالى: وأتوا البيوت من أبوابها، فهي البلدة الزكية
أول جزيرة العرب، والدخول منها تطلب المعارف والقرب
أحببت ذكرها وفضلها وذكر تواريخها لأني كنت اطلعت
على تاريخ العلامة الفاضل الشيخ عبد القادر بن أحمد بن محمد بن
فرج الشافعي خطيب جدة تلميذ الحافظ ابن حجر الهيتمي المتوفى
يوم السبت سابع شهر رمضان سنة عشر بعد الألف بجدة
المسمى السلاح والعدة في فضل ثغر جدة، فوجدته تاريخاً مختصراً
جداً لم يوف بالمقصود، ولا سيما ما حدث بعد وفاته من
حكامها والجنود، أحببت ذكرها وفضلها في هذه
الوريقات:

الصفحة الأولى من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

حمـدًا لمالك الملك، وشكرًا لمُجْـرى الفلك، الخالق البارئ الصـمد الواحد، مُبـيد القـرون، الذى إذا أراد شيـئًا قـال له: كُنْ فيـكون، والصَّلاة والسـلام على سيـد الأنام، صاحب الجد والجود، والمقام المحمود، سيـدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وكُلٍّ ما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، إلى يومنا المشهود.

وبعد، فيقول الراجى غفران المساوى، أحـمد بن محمد بن أحمد الحضراوى المكى الهاشـمى، أصلح الله سرائرهم ونوَّر بصـائرهم مع العفو والرضـوان، والرحمة والغـفران ولجميع المسلمين، آمـين: لما كان بَنْدَرُ جدة من المآثر المشهودة، والمـعالم المحمودة، لاحتوائهـا على المعاهد العظيمة، والمشـاهد الجسيمة، ولكونهـا للبلد الأمين كالرأس من الجسد، فهى دهْليْزُه وبابه المُعَـدُّ، ولا يكون من الدخول إلى الدار إلا من الباب، كما قال تعالى: ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ (سورة البقرة: ١٨٩) فهى البلدة الزكيـة أول جزيرة العرب، وللدخول منها تطلب المعارف والقرب.

أحْبَبْتُ إظـهار فضلها وذكر تـواريخها، لأنى كنت اطلعت على تاريخ العلامـة الفاضل الشيخ عبد القادر بن أحـمد بن محمد بن فرج الشافعى، خطيب جُـدّة، تلميذ الحافظ ابن حَجَرِ الهَيْتَمِى، المتوفى يوم السبت سابع شـهر رمضان سنة عشرة بعد الألف بجدة المسمى «السلاح والعُدَّة فى فضل ثغر جدة[(١)]» فوجدته تاريخًا مختصرًا غير أنه لم يوفِ بالمقصود، ولا سيما لم يُوفِ مـا حدث بعد وفاته من حكامها والجنود، أحبـبت إظهار فضلها فى هذه الوريقات، وذكر بعض أخبارها مـما هو آت، فجاءَت بحمد الله رسالة عجيبـة، جمعتها من كتب عديدة لأئمَّة ذوى مناقب حـميدة، راجيًا من الله القبول، ونقحـتها بذكر بعض مناقب الفحول، أمدَّنا الله بهم آمين.

وسَمَّيْتها: «**الجواهر المُعَدَّة فى فضائل جدَّة**» جعلها الله نفعًا للعباد، وذُخْرًا لقارئها يوم المعاد.

---

(١) قامت بطبعه مكتبة الثقافة الدينية بأخرة بالقاهرة.

ورتبتها على مقدمة وفصلين وخاتمة، نسأل الله حسنها.

المقدمة فى سبب إنشائها وضبط أسمائها ومَنْ أنْشأها.

الفصل الأول: فى فضائلها والمرابطة والصلاة فيها والمجاورة.

الفصل الثانى: فى مآثرها وما احتوت عليه من سكانها.

الخاتمة: فى بعض حكايات لطيفة وقعت فى عرصاتها.

فأقول وبالله التوفيق:

المقدمة

فى سبب إنشائها، وضبط أسمائها ومن أنشأها

قال المِيْرغَنى رحمه الله فى «عدة الإنابة»: جُـدَّة، بضم الجيم المعجمة وتشديد الدال وسكون الهـاء، وقيل بالكسـر، وهى إسْكِلَة[1] مكة بينهمـا مرحلتان، ويقال لهـا: جديدة أيضًا بكسر الدال المـهملة وفتح ما قبلها بعدها ياء سـاكنة تحتية ودال مهملة مـفتوحة وهاء ساكنة.

قال ابن الوردى رحمـه الله فى «الخريدة»: يقال: إن كل بلدة لها اسـمان فناهيك بها شرفًا وعظمة.

وقال فى «القامـوس»: جُدُدٌ كَسُرُر، وصرام النخل كالجِـدَاد والْجَدَاد وأجَدَّ: حان أن يُجَدَّ، وبالضَّم ساحل البحر بمكة، كالجُدَّة، وجدَّة لموضع بعينه منه بالضم وشاطئ النَّهر، كالجِدُّ والجدَّة بكسرهما والجُدَّة بالضم.

والجَدُّ وَجْهُ الأرض كالجدَّة بالكسر، والجديد والجدد. انتهى.

ونقل العلامة المحدث جار الله بن فهد أن السيد الفاسى ذكر فى مسودة له أن سبب تسمية جدَّة بهذا الاسم كونها منزل أم البشر حوَّاء وكونها دُفنت بجدة فهى جدَّة جميع العالم[2].

ونقل أيضًـا عن الحافظ عـز الدين ابن الأثيـر فى «النهـاية»: الجُد ـ بالضم ـ سـاحل البحر، والجدة أيضًا. انتهى[3].

---

(١) الإسْكَلَةُ: مرفأ السفن.

(٢) لم ينقَله جار الله بن فهـد عن الفاسى، وإنما نقله عن جده الحافظ نجم الدين بن فهـد، كما ذكر فى كتابه: «حسن القرى ص ٢٨» ولديه: «وقد رأيت جدى الـحافظ نجم الدين عمر بن فهد ذكر فى مسودة بلدانياته أن سبب تسميتها بجدة لأنه نزلتها أم البشر حواء ودُفِنت بها، فهى جدة جميع من فى العالم».

(٣) ابن الأثير: النهاية فى غريب الحديث ج ١ ص ٢٥٤.

وفى «لسان العرب» قال: (*)والجُدَّة ساحل البحر بمكة، وجُدَّة اسم موضع قريب من مكة مشتق منه، وفى حديث ابن سيرين: كان يختار الصلاة على الجُدِّ إنْ قَدرَ عليه، الجُدُّ - بالضم - شاطئ النهر، والجُدَّةُ أيضًا، وبه سميت المدينة التى عند مكة شرفها الله جُدَّة، وجُدَّة كل شىء طريقته، وجُدَّته[1]: علامته، والجُدَّة الطريقة والجمع جُدَدٌ، وقوله عز وجل: ﴿جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ أى طرائق تخالف لون الجبل، ومنه قولهم: ركب فلان جُدَّة من الأمر إذا رأى فيه رأيًا، قال: والجدَّة: قال الفراء الجُدَدُ: الخِطَطُ والطُّرُق، تكون فى الجبال خِطَطٌ بيض وسود وحُمْر، كالطُّرُق واحدها جُدَّة، وأنشد قول امرئ القيس:

كأنَّ سَرَاتَه[2] وجُدَّةَ[3] مَتْنِه

كَنَائِنُ يَجْرِى فَوْقَهُنَّ دَلِيص(*)

قال الأزهرىُّ: وجادَّةُ الطريق سميت جادَّةً لأنها خُطَّة مستقيمة.

وفى «السيرة الحلبية» أن حوَّاء أهبِطتْ بجدةَ، وحرم الله عليها دخول الحرم، والنظر إلى خيمة آدم وإلى شىء من مكة لأجل خطيئتها، وأنها أرادت أن تدخل مع آدم إلى مكة فقال لها: إليك عنى، قد خرجت من الجنة بِسَبَبِك فتريدين أن أُحرم هذا؟! فكان آدم عليه الصلاة والسلام إذا أراد يلقاها ليُلِمَّ بها خرج من الحرم كُلِّه حتى يلقاها بالْحِلِّ، وهذا يخالف ما جاءَ أن جبريل عليه السلام بعثه الله تعالى إلى آدم وحوَّاء عليهما السلام فقال لهما: إن الله تعالى يقول لكما: ابنيا لى بيتًا، فخطَّ لهما جبريل عليه السلام، فجعل آدم يحفر وحوَّاء تنقل التراب، حتى أجابه الماء، ونودى من تحته: حَسْبُكَ يَا آدم.

وفى رواية: حتى إذا بلغ الأرض السابعة فعذقه فيها الملائكة الصخر ما يطيق الصخرة ثلاثون رجلاً. انتهى.

وذكر محمد بن جرير، أنَّ الله أهبط آدم على جبل سَرَنْديب بالهند، وحواء بحدة - بالحاء المهملة، وقيل: بالمعجمة - فجاء آدم فى طلبها فتعارفا بالمحلِّ الذى قيل له بسبب

(*) من هذه العلامة إلى مثلها ورد فى اللسان. جدد.

(١) فى الأصل: «وجدة علامته».

(٢) فى الأصل: «سادته» والمثبت رواية اللسان.

(٣) فى المطبوع: «وجُدَّة».

ذلك عرفة، فاجتمعا بالمحلِّ الذى قيل له بسبب ذلك جمع، وزَلَفَتْ إليه بالمحلِّ الذى قيل له بسبب ذلك مُزْدلفة(١).

وهذا يدل على أن جمع غير مزدلفة، وهو خلاف المشهور من أن جمع هو مزدلفة، إلا أنْ يقال: كل من المحلين من جملة البقعة، واطْلِق كلٌّ من الاسمين على جميع تلك البقعة.

وفى «الخصائص الصغرى»: عن رزين أن حواءَ عاشت بعد آدم سنة كاملة. انتهى.

قال فى «الدرر المنظمة فى أخبار مكة المعظمة»: وأول من جعل جُدَّة ساحلاً سيدنا عثمانُ بن عفان رضي الله عنه فى سنة ست وعشرين من الهجرة، وكانت الشُّعَيْبةُ ساحل مكة.

أقول: ولعله المحل المعروف الآن بأبحر(٢)، ونقل السيد الفاسى فى «شفاء الغرام» أن أول من جعل جدة ساحلاً لمكة المشرفة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، بعد أن استشار الناس(٣).

وذكر ابن جبير فى رحلته أنه رأى بجدة أثر سور مُحْدق بها(٤).

وقال الشيخ جار الله بن فهد: إن بجدة أثر رسوم قديمة تدل على قدم اختطاطها وأنها كانت مدينة كبيرة، وأنها كانت فى زمن الفرس، وأن سلمان الفارسى رضي الله عنه وأهله سكنوها، لأنهم كانوا قومًا تجارًا وهم الذين بنوا سُورها الأول، وقيل: إن الذى بناه يزدجر(٥) والمشهور أنه من بنيان الفرس إجمالاً، وأنهم لما بنوه أتقنوا بناءَه، جعلوا عرض الحائط عشرة أشبار، وجعلوا فيه أربعة أبواب: أحدها باب الدومة فى جهة الشام، وباب المدبغة فى جهة اليمن، وكان عليه حجر أخضر فيه طَلْسمٌ إذا سرق فى البلد شىءٌ وجِدَ بالغداة اسم السارق مكتوبًا فى الحجر، وباب مكة فى جهة القبلة، وباب الفرضة مما يلى البحر(٦).

---

(١) تاريخ الطبرى ج١ ص ١٢١.
(٢) أبحر: كان مرفأ لجدة (ابن جبير: الرحلة ص ٤٨).
(٣) الفاسى: شفاء الغرام ج١ ص١٤١.
(٤) ابن جبير: الرحلة ص ٥٠.
(٥) فى الأصل: «جريزيان» والمثبت رواية جار الله بن فهد فى حسن القرى ص ٢٨.
(٦) حسن القرى ص ٢٨.

وحفـروا حول البلد خندقًـا عظيمًا فـى الوسع والعمق، وكان يدور مـاءُ البحـر حول البلد، وهى يومـئذ شبـه جزيرة فى وسط لُجَّـة البـحر، فلمـا حَصـنوا الفرس البلد غـاية التحـصين وخافوا من ضـيقة المـاء، عمروا ثمـانية وستين صـهريجًا داخل البلد، ومـثلها خارجها، ثم إنَّ الفرس خرجوا منها وبقيت خاوية على عروشها(١).

وكان سبب خروجهم(٢) فيمـا ذكره القاضى صلاح الدين ابن ظهيرة الشـافعى، قاضى جدة حينئذ، فى تاريخه لجـدة، ومنه نقل صاحب «السلاح والعُدَّة فى تاريخ جدة» وهو أنَّ والى مكة الشريف داود بن هاشم الحسنى، وكان يجبى إليه خراجُ جدة، فى كل عام حملٌ من قُضْبـان الحديد أو النحاس، فـفى بعض السنين غلط الخازندار(٣) وبعث الخراج حملاً من الذَّهب، فسكت الشريف المذكور إلى العام القابل، فـبعثوا إليه حملاً من الحديد على حكم العـادة فلم يقبـلهِ وردَّهُ وقال: مـا آخذ منكم إلاَّ حـمْل ذهب مـثل العام المـاضى، فتفقدوا خزائـنهم فوجدوا خازن دارهم غلط فاغتموا لذلك، وجمع كبـيرهم أعيان دولتهم وأكابرها وعـرَّفهم، وأشار عليهم بالخـروج منها، لكونهم يعجـزون عن ذلك فى كل عام، ويعجزون أيضًا عن محاربته على الدوام، وجعل لهم مثلا وهو أنه أحضر لهم ثلاثة طيور، أحدها صـحيحًا سـالمًا، والثانى منتوف الـجناح، والثالث مذبوح، وقال لهم: إن خـرجتم الآن فأنتم مـثل هذا الطائر الحىِّ السليم، لا يُقْدَرُ عليكم، وأرسله فى الجـوِّ، وإن جلستم للعام القـابل تكونوا مثل هذا المنتـوف الجناح، منْ طردَهُ أمسكه، وأرسلـه يجرى برجله، وإن جلستم إلى العام الثالث فأنتم مثل هذا المذبوح، وألقاه بين أيديهم، فاستصوبوا رأيه، وأخذوا ما يعزُّ عليهم ويمكنهم حمله، وسـافروا فى سفنهم بحرًا، وتفرَّقوا فى البلدان يمنًا وشمالاً وسـواكن ودَهْلَك، فلما خلت البلدة من سكانها استـوطنها الأعراب من كل مكان من جميع الجهات(٤).

قلت: وهذه العبارة من أولها لا أصل لها غالبًا بـحيث أن جدة لم يسكنها غير الأعراب قديمًا، ويؤيده ما سيأتى من استعمال الصدِّيق وسيدنا عثمان والرشيد وغيرهم، فلينبه.

---

(١) جار الله بن فهد: رسالة فى فضل جدة ص ٢٠٤.

(٢) فى هامش ط: «أول من ذكر هذه الخرافة هو ابن المجاور الذى وصل إلى جدة سنة ٦٢١هـ.

(٣) الخازندار: المشرف على خزائن السلطان من نقد وأمتعة.

(٤) ابن فرج: السلاح والعدة ص ٣٤.

وهى أول حدود الحجاز، وأول جزيرة العرب، وسميت جزيرة لأنه أحاط بها أربعة أبحُر: دجلة والفرات وبحر الحبشة وبحر فارس، والحجاز يقابل أرض الحبشة غربيها وبينهما عرض البحر فقط، وأوله من مدينة أيلة المعروفة بالعقبة من منازل الحج المصرى، ومنتهاه من شامه مدينة سدوم(١)، وهى من قرى قوم لوط، ومن غربيه جبل السراة، ومسيره نحو شهرٍ، وهو قطعة من جزيرة العرب، التى هى طولاً من أقصى عدن إلى ريف العراق.

قال العلامة القليوبىُّ: وأول جزيرة العرب عرضًا من جدَّة إلى ساحل البحر، إلى أطراف الشام، وطولاً من أقصى عدن إلى ريف العراق، ومن المدن التى بين الحجاز واليمن: اليمامة وتهامة(٢) وهجر، وهو من مدنه الطائفة به والينبع وبدر.

وجُدَّة - بضم الجيم - وأصلها اسم لما قرب من النهر أو الطريق الممهد. انتهى كلامه.

وهذا مناقض لما مرَّ من أنَّ الشُّعَيْبَة كانت ساحل مكة، ففى [السيرة] الحلبية وغيرها أن قريشًا حين بنواْ الكعبة المشرفة فى زمن النبى ﷺ، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى ساحل جدة - أى الذى به جدة الآن - وكان ساحل مكة الذى قبل ذلك يرمى به السفن يقال له الشُّعَيْبَةِ - بضم الشين المعجمة فلا يخالف قول غير واحد - فلما كانت السفينة بالشُّعَيْبَةِ ساحل مكة انكسرت، وقيل: كانت تلك السفينة لقيصر ملك الروم، يحمل له فيها الرخام والخشب والحديد، فلما بلغت مرساها من جدة وقيل: من الشعيبة بعث الله عليها ريحًا فحطمها، فخرج الوليد بن المغيرة فى نفر من قريش إلى السفينة فابتاعوا خشبها - القصة انتهى.

وفى «معالم التنزيل» فى (سورة الفتح) بعد أن ساق قصة الفتح يوم فتح مكة: قال عروة بن الزبير: خرج صفوان بن أُمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير بن وهب الجمحىُّ: يا نبىَّ الله، إن صفوان بن أُمية سيد قومه، وقد خرج هاربًا منك ليقذف

---

(١) فى الأصل: «سدم» والمثبت رواية البكرى فى المسالك والممالك ج١ ص ١١١، ولديه: «فأرسل الله لوطا إلى أهل سَدوم».

(٢) تهامة ليست مدينة بل منطقة واسعة.

نفسه في البحر فـأَمَّنَهُ ﷺ وقال: هو آمِنٌ، قال: يا رسـول الله أعطني شيئًا يعرف به أمانك، فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التى دخل فيها مكة، فخرج بها عمير، حتى أدركه بجدة، وهو يريد أن يركب البحر، فقال: يا صفوان فداك أبى وأمى، أُذَكِّرُكَ اللهَ فى نفسك أن تهلكها، فهذا أمان رسـول الله ﷺ قد جئتك به، فقـال: ويلك اعزب عنى فـلا تكلمنى، قال، أى صفـوان: فداك أبى وأمى، أفضل الناس، وأبَرُّ الناس، وأحلم الناس، وخير الناس، ابنُ عمك، عِزُّهُ عزُّكَ، وشرفه شرفك، وملكه ملكك، قال: إنى أخافه على نفسى، قال: هو أحلم من ذلك وأكرم، قال: فـرجع به معه حتى وقف به على رسول الله ﷺ ، فقال صفوان: إن هذا يزعم أنَّك أمنتنى قال: صدق ـ الحديث انتهى.

فهذا الخبر والذى قبله من القصة المتقدم ذكرهما يُشْعِران بأن جدة هى إِسْكِلَةُ مكة من أيام النبى ﷺ ، وفيه نظر، إلاَّ أن يُقال: كانت إِسْكِلَة لمكة فى بعض الأحوال، والشعيبة هى إِسْكِلَتُها دائمًا، ثم إن سيدنا عثـمان بن عفان ﷺ اسـتصوبها ونزل بهـا واغتسل فى بحرها، وقال: إنه مـبارك كما فى «الدرر المنظمة» بعـد أن استشار الناس وجعلهـا خالصة لمكة، والله تعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

فى فضائلها والمرابطة والصلاة فيها والمجاورة

فعن شيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى فى كتابه: «لسان الميزان» بسنده عن ابن عمر ﷺ مرفوعًا: إذا كان رأس السبعين والمائة فالرباط بجدة من أفضل ما يكون من الرباط.

وروى أيضًا بسنده عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتى على الناس زمان يكون أفضل الرباط رباط جدة».

وفيه أيضًا عن على بن أبى طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة من أبواب الجنة فى الدنيا: الإسكندرية وعسقلان وقزوين وعبَّادان، وفضل جدة على هؤلاء كفضل بيت الله على سائر البيوت»(١).

وفى «شفاء الغرام» للسيد الفاسى، رحمه الله، بسنده عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مكة رباط وجدة جهاد»(٢).

وفيه أيضًا بسند الفاكهى إلى ابن جريج عن أبيه عن جده: «إنى لأرجو أن يكون فضل مرابط جدة على سائر المرابطين كفضل مكة»(٣).

---

(١) فى مثل هذه الأحاديث يقول الشوكانى فى الأحاديث الموضوعة ص ٤٣٦: «وقد توسع المؤرخون فى ذكر الأحاديث الباطلة فى فضائل البلدان، ولا سيما بلدانهم، فإنهم يتساهلون فى ذلك غاية التساهل، ويذكرون الموضوع ولا ينبهون عليه» ثم أورد الشوكانى حديث: «يأتى على الناس زمان يكون أفضل الرباط رباط جدة» وذكر أن ابن عدى رواه عن ابن عمر مرفوعًا، وفى إسناده: محمد ابن عبد الرحمن البيلمانى، وليس بشىء، حدَّث عن أبيه بمائتى حديث موضوعة، كما أورد كذلك حديث: «أربعة أبواب من أبواب الجنة... الحديث، وذكر أن ابن حبان رواه عن على مرفوعا، وفى إسناده عبد الملك بن هارون، كذاب، وانظر كذلك لسان الميزان ج ٤ ص ٧١.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ١٤٠ والحديث أورده الفاكهى فى أخبار مكة ج ٣ ص ٥٢ بإسناده، وذكر محققه أن إسناده ضعيف.

(٣) أورده الفاكهى فى أخبار مكة ج ٣ ص ٥٣.

وبسنده أيضًا عن ضوء بن فج قال: كُنتُ جالِسًا مع عبَّاد بن كثير فى المسجد الحرام فقلت: الحمد لله الذى جعلنا فى أفضل المجالس وأشرفها.

فقال: وأَيْنَ أنت من جدة، الصلاة فيها بعشرة ألف ألف صلاة، والدرهم الواحد بمائة ألف، وأعمال الْبِرِّ بقدر ذلك، يغفر للناظر فيها مَدَّ بصره مما يلى البحر(١).

وعن فَرْقَد السَّبَخى(٢) أنه قال: يكون فى آخر الزمان بجدة شهداء ليس على وجه الأرض شهداء أفضل منهم.

وبسنده أيضًا عن ابن عباس ﷺ إلى عبد الله بن سعيد أنَّ فرقدًا السبخيَّ قال: إنى رجل اقرأ هذه الكتب، وإنى لأجد فيها فيما أنزل الله من كتبه: جُدَّةُ أو جُدَيْدَة ـ بالجيم ـ يكون فيها شهداء، لا شُهداء على وجه الأرض أفضل منهم(٣).

وقال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالىُّ فى «الإحياء» فى (باب أسرار الحج) إن بعض الأولياء كُوشِف فرأى جميع الثغور تسجد لِعَبَّادان، وعبَّادان ساجدة لجُدَّة(٤).

قال الفاضل العلامة السيد مسعود بن حسن القناوىُّ فى «شرح لامية ابن الوردِى» ما نصه: عبادان بتشديد الباء الموحدة، وهى من العراق، مدينة عامرة على شطِّ البحر، فى الجهة الغربية من الدّجلة، وهى من مدائن بغداد. انتهى.

وأخرج الترمذى عن عمرو بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ إن الإِيمان لَيَأرزُ(٥) إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جُحْرِها(٦).

قال فى «القاموس»: الحجاز مكة والمدينة والطايف ومخاليفها، أى طرقها وقراها وبُغَارُها منها، والبُغار هو الثغر بتشديد المثلثةأى الباب.

---

(١) الفاكهى ج ٣ ص ٥٣.

(٢) السبخى: ذكره الذهبى فى الميزان ج ٣ ص ٣٤٥ بقوله: قال أبو حاتم: ليس بقوى، وقال البخارى: فى حديثه مناكير، وقال النسائى: ليس بثقة، مات سنة ١٣١هـ.

(٣) الفاكهى: أخبار مكة ج ٣ ص ٥٥.

(٤) إحياء علوم الدين ج ١ ص ٢٤٢.

(٥) أى يجتمع وينضم كما تأرز الحية إلى جحرها.

(٦) أخرجه الترمذى برقم ٢٦٢٩ كتاب الإيمان: باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا.

وعنه ﷺ أنه قال: «إن الشيطان قد يئس من أن يعبده المصلُّون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم»(١) رواه الهروى فى شرحه على «المشكاة».

وفى الخبر عنه ﷺ : «لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب»(٢) قال الفاضل مولانا السيد فضل باعَلَوِى مَولَى الدُّوَيْلة فى كتابه «عدة الأُمراء والحكام» ما نصه: ووجه الاستدلال أنه حكم بإخراجهم من أرضهم، ونقلها إلى المسلمين، لتكون كلمة الله هى العليا ويكون الدين لله. انتهى.

وثبت فى الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يقول: «لئن عشت أو بقيتُ لأُخرِجَنَّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا يبقى فيها إلا مسلم»(٣) قال أبو جعفر ابن جرير الطبرى: فى هذا الخبر من الفقه أنه عليه الصلاة والسلام سنَّ لأُمَّتِه المؤمنين إخراج من دان دينًا غير دِينه، الذى بعثه الله به، من كل بلدة من بلاد الإِسلام إذا لم يكن إليهم بالمسلمين ضرورة حاجة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لايساكنكم اليهود ولا النصارى فى أمصاركم.

وفى الخبر عنه ﷺ «أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب» قال الفاضل السيد فضل باعلوى المذكور آنفا فى «عُدَّة الأمراء»: إن الواجب على إمام المسلمين إخراجهم من كل مِصْر كان الغالب على أهله الإِسلام، إذا لم يكن بالمسلمين إليهم ضرورة حاجة، ولا كانت من بلاد أهلِ الذِّمَّةِ التى صُولحوا على إقرارهم فيها، إلحاقًا لحكمه بحكم جزيرة العرب، قال ابن جرير: وقد روى عن رسول الله ﷺ بنحو الذى قال ابن عباس فى ذلك، وذلك ما حدثنا الحسن بن يزيد الخطابى أنبأنا محمد بن سليمان الحرانى حدثنا يعقوب بن جعدة عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد ابن الحَنَفِيَّةِ رضي الله عنه عن أبيه على ابن أبى طالب رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لا يترك بأرضٍ دينانِ، دين مع دين الإسلام» وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ : «لا يصلح ملتان فى أرض».

---

(١) أخرجه مسلم برقم ٢٨١٢ كتاب صفات المنافقين: باب تحريش الشيطان «ولكن فى التحريش بينهم» أى: ولكنه يسعى فى التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن وغيرها.

(٢) أخرجه صاحب الكنز برقم ٣٥١٤٨.

(٣) أخرجه مسلم برقم ١٧٦٧ كتاب الجهاد والسير، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب.

وفى الصحيح أنه ليس من بلد إلا سَيَطَؤُهَا الدجال إلا مكة والمدينة وبيت المقدس، ليس نَقْبٌ من نقابها إلا وعليه الملائكة صَافِّينَ.

وفى كتاب «العقد الثمين» النقب بفتح النون وضمها وسكون القاف: الباب، وقيل: الطريق، وجمعه نقاب، ورأيت بخط العلامة شيخنا أبى المكارم الشيخ محمد سعيد بشّارة الخليدى المكى حفظه الله: ولا شك أن جدة من أعظم طرق مكة وأبوابها، فتكون حينئذ ممنوعة أيضًا من تمكن الدجّال منها، أى من المكث فيها، هذا إن صدق عليها اسم البلد، وهو الأصح، وأما إن صدق عليها اسم الباب (. . .)[1].

وقال فى «إهداء اللطائف من أخبار الطائف» أن معاوية رضي الله عنه قال: سعيد مولاىَ أنعم الناس عيشًا، يقيظ بالطائف ويشتى بمكة ويُربع بجدة. انتهى[2].

وأما فضل المرابطة بها وبغيرها أيضًا من الثغور قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ (سورة آل عمران: ٢٠٠) فالرباط أحد شعب الإيمان، وموجبات الغفران، وقد ورد فى فضله أشياء لم تكن فى القربات، منها ما روى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من جلس على البحر احتسابًا ونيَّة احتياط للمسلمين كتب الله تعالى له بكل نظرة حسنة» وفى بعض النسخ «بكل قطرة حسنة»[3].

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الناظر فى البحر فى سبيل الله تعالى يكون له مد بصره نور يستضىء به كما بين صنعاءَ والجابية، وعنه أيضًا أن رباط يوم وليلة خير من الدنيا وما فيها.

وعن سلمان الفارسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، ورباط شهر خير من صيام دهر»[4]. انتهى.

فكل خير ينقطع إلا عمل المرابط فإنه يكون له ثواب رباطه إلى يوم القيامة، كما وردت به الآثار.

---

(١) كلمات غير واضحة فى الأصل.

(٢) العجيمى: إهداء اللطائف من أخبار الطائف ص ٣٧.

(٣) أورده صاحب الكنز برقم ١٠٧٦٧ وعزاه للطبرانى فى الكبير.

(٤) أخرجه مسلم برقم ١٩١٣ كتاب الإمارة: باب فضل الرباط فى سبيل الله.

ولله درُّ الفاضل الورع المرابط الشيخ العجلى حيث قال:

فأنا الفتى العجلىُّ جُدَّةُ مسكنى
وخزانة الحرم التى لا تجهل
وَبِهَا الرباط مع الجهاد وإنما
لَبِهَا الوقيعة لا محالة تنزل
من آل حامٍ فى أواخر دهرنا
وشهيدها بشهيد بَدْرٍ يُعْدَلُ
شهداؤنا قد فُضِّلُوا بسعادة
وبها السرور لمن يموت ويقتل

وروى الفاكهى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «مكة رباطٌ وجدة جهاد»[1] وعن ابن جُرَيج قال: سمعت عطاء رضي الله عنه يقول: إنما جدة خزانة مكة، وإنما يؤتى به إلى مكة لا يخرج به منها[2]، وقال ابنُ جُريج: فضل رِبَاط جدة على سائر المرابط كفضل مكة على سائر البلدان[3]. انتهى.

والحاصل أن فضائلها كلها لا تُحصى، منها: أن الله شرف طريقها إلى مكة أيضًا لكون بعضه موطئًا لأقدامه ﷺ الشريفتين وأصحابه، حيث كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فى طريقها، وإليه الإشارة فى قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾ (سورة الفتح: ١٨) وهى بطريق جدة، عام الحُدَيْبِيَة، وحديبية هو المحل المعروف الآن بالشُّمَيْسِيِّ، كما ذكره بعض المفسرين.

قال فى «القاموس» الحُدَيْبِيَةِ كدُوَيْهِيَة ـ وقد تشدَّد ـ بئر قرب مكة حَرَسَهَا الله تعالى، أو شجرة هناك[4].

(١) أورده الفاكهى فى أخبار مكة ج ٣ ص ٥٢ بإسناده، وذكر محققه أن إسناده ضعيف.
(٢) الفاكهى: أخبار مكة ج ٣ ص ٥٣.
(٣) الفاكهى: أخبار مكة ج ٣ ص ٥٣.
(٤) القاموس: الحُدَيْبِيَة.

وعن ابن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: بينما نحن قائلون زمن الحديبية نادى منادى رسول الله ﷺ: أيُّها الناس البيعة، نزل روح القدس، قال: فثرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سَمُرَة فبايعناه.

وفى «مسلم» عن طارق بن عبد الرحمن قال: انطلقت حاجًا فمررت بقوم يصلون فقلت: ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة حيث بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان، فأتيت ابنَ المسيَّب فأخبرته، فقال سعيد: كان أبى ممن بايع تحت الشجرة، قال: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها . . . الحديث(١).

وفى رواية عن ابن المسيب عن أبيه قال: لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد عام فلم أعرفها(٢).

وقال نافع: كان الناس يأتون تلك الشجرة فيصلون عندها، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأوعدهم فيها، وأمر بها فقطعت.

وروى أن عمر رضي الله عنه مرَّ بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة، فقال: أين كانت؟ فجعل بعضهم يقول: هاهنا وبعضهم يقول: هاهنا، فلما كثر اختلافهم قال: سيروا فقد ذهبت الشجرة.

وللبخارى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التى بايعنا تحتها، وكانت رحمة من الله. انتهى.

ومنها أنَّ الله تعالى شرفها بِتَنَزُّلَاتٍ إلهِيَّةٍ، وخصوصيات سَنِيَّة دلَّ على ذلك ورود وفد الله تعالى من جهتها، فترى كل ولى لله تعالى وحبر وتقى وصالح وزكى إلا وهو يمرُّ عليها، ويدخل من (إسْكِلَتِها) كما هو الغالب، لأن الحجاج كلهم أضياف الله وتعالى وفى كنفه وأَمنِه، فهى مَمَرُّ الأبرار، ومَقَرُّ التجار، ضاعف الله فيها البركات، وأظهر الخيرات.

وأما بحرها وهو المسمى ببحر القلزم قال ابن الوردى فى «الخريدة»: خليج القلزم ومبدأه من باب المندب حيث ينتهى البحر الهنديُّ فيمر فى جهة الشمال مغربًا قليلاً فيتصل

(١) أخرجه مسلم برقم ١٨٥٩ كتاب الإمارة: باب استحباب مبايعة الإمام الجيش.
(٢) أخرجه مسلم برقم ١٨٥٩ كتاب الإمارة.

بغربى اليمن، ويمر بتهامة واليمن إلى مدين وأيلة وفران، وينتهى إلى مدينة القلزم فيمر بشرقى بلاد الصعيد إلى عيذاب إلى جزيرة سواكن إلى زالع من بلاد البُجَة، إلى بلاد الحبشة ويتصل بالبحر الهندى، وطول هذا البحر ألف وأربعمائة ميل.

وأما من ساحل جدَّة إلى ساحل السويس، وهذا البحر يسمى البحر الأحمر، وأما أرض القلزم المسمَّى باسمها هذا، وهى بين مصر والشام وهو بحر فى ذاته، وفيه جبال فوق الماء وفيه قروش ـ أى سمك كبير ـ وحيوانات مُضرة ظاهرة ومختفية، كانت القلزم مدينتين عظيمتين فتهدَّمتا من تسلط العرب على أهلها، وشربهما من عين سدير[1] وهى وسط الرمل وماؤه زعاق، وبين القلزم ـ وهو منتهى بحر فارس الآخذ من المحيط الشرقى من الصين ـ وبين البحر الشامى مسافة أربع مراحل تسمى بأرض التيه، وهو تيه بنى إسرائيل، وهى أرض واسعة ليس بها وهْدَةٌ ولا رابية ولا قلعة، ووسعها خمسة أيام فى خمسة، ومن مدنه المشهورة عقبة أَيْلَةَ وهى قرية صغيرة على جبل عال، صعب المرتَقَى يكون ارتفاعه والانحدار منه يومًا كاملاً، وهى طرق لا يمكن أن يجوز فيها إلا واحد واحد على جانبها أودية بعيدة المَهْوَى[2]. انتهى.

وبحر القلزم هذا هو الذى أغرق الله فيه فرعون وقومه، ونَجَّا الله موسى وبنى إسرائيل، وحدود هذا البحر إذا قطعت من لسان القلزم إلى حد الصين فى حد مستقيم كان مقدار تلك المسافة نحو مائتى مرحلة، وكذلك إذا شئت أن تقطع من القلزم إلى أقصى حجر بالمغرب على خط مستقيم كان نحو مائة وثمانين مرحلة، وإذا قطعت من القلزم إلى حدّ العراق إلى نهر بلخ شهرين.

والحاصل أن هذا البحر أهون البحار وأكثرها بركة وخيرًا، قال فى «الدرر المنظمة فى أخبار مكة المعظمة» وفى سنة ست وعشرين من الهجرة اعتمر من المدينة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ فأتى مكة ليلاً فطاف وسعى ـ إلى أن قال ـ وحَوَّلَ ساحل مكة القديم وهو الشُّعَيْبَة إلى ساحلها الآن المعروف بجدة لقربها من مكة، وخرج إليها واغتسل فى بحرها وقال: إنه مبارك، ثم خرج من جدة على طريق عسفان إلى المدينة منصرفًا.

(١) فى الأصل: «سرير» والمثبت رواية ابن الوردى فى الخريدة الذى ينقل عنه المؤلف.

(٢) ابن الوردى: الخريدة ص ٤٧.

وقال بعضهم: إن جـدة هى قديمة على حالها من قبل النبـوة ساحل مكة، واحتج بما مَرَّ سابقًـا من أن لها مسجدان ينسبـان إلى عمر بن الخطاب، وبما مَرَّ سابقًـا أيضًا من كلام الشيخ جار الله ابن فهد، ومن خروج صفـوان بن أمية إلى جدة يريد ينزل منها إلى اليمن، كما فى السِّير، وما ورد فيها من الأخبار، إذْ لو لم تكن ساحلاً لم يَرِدْ فيها ما مَرَّ، فليحرر، ويمكن الجمـع بين القولين بأنها كـانت ساحلا إلى أول خـلافة سـيدنا عثـمان ثم تركت، واستعملت الشُّعَيْبَة ثم نزل سيدنا عثمان ليراها فردها ساحلا، ويؤيده ذكر عمالها كما يأتى.

ثم اعلم أن البحر الذى اغتسل فيه سيدنا عـثمان بن عفان ﷺ هو المعروف الآن فيها ببحر الأربعين، وهو بناحية من ساحلها، ولم يزل أهل جدة إلى الآن يغسلون مرضاهم فيها تبركًا بمائه كما هو المعهود.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الثانى

فى مآثرها وما احتوت عليه من سكانها

فأقول وبالله التوفيق:

قال التقى الفاسى فى تاريخه[١]: إن سيدنا أبا بكر الصديق ﷺ استعمل على جُدّة الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وكان أسلم عند إسلام أبيه نوفل، وكانت تحته درة بنت أبى لهب ابن عبد المطلب، وهو أول أمير استعمل على جدة فلهذا لم يشهد حُنَيْنًا، وخالف فى ذلك الذهبى وقال: إنما استعمل أبو بكر وعمر وعثمان الحارث بن نوفل على مكة، وتوفى آخر خلافة عثمان، وهذا القول ضعيف والمعتمد الأول، لأن سيدنا أبا بكر الصديق إنما استعمل عتاب بن أسيد ﷺ على مكة بعد استعمال النبى ﷺ له عليها، وتوفى عتَّابُ فى نَعْى أبى بكر بعد موته، وهذا ما اعتمده التقى الفاسى وغيره من أن الحارث بن نوفل استعمله النبى ﷺ على بعض صدقات مكة وبعض أعمالها، ثم استعمله أبو بكر ﷺ على جدة، وتوفى فى آخر خلافة عثمان.

وأما فقهاؤها فهم الظهيرة، وأول من سكنها منهم الشيخ على بن الصديق الجحنون، المقبور بجدة، وكان من أهل العلم والصلاح.

وبنو المذكور الأشراف من بنى القديمى، أول من سكنها منها السيد سليمان بن المذكور، وهو من بيت ولاية وكرامة.

وبيت المساوى أول من سكنها منهم الشيخ أحمد بن الصديق المقبور بجدة، والفقيه من أهل اليمن.

وخلائق لا يحصون كما هو مذكور فى التاريخ المتقدم ذكره.

---

(١) العقد الثمين ج ٤ ص ٢٩.

وبها من المآثر القديمة قبر السيدة الكريمة حَوَّاء، أُم البَشر، وهو بالجانب الشرقى على يمين الداخل إلى جدة[١] من باب مكة، كما اعتمده غير واحد من المحققين، ويؤيده ما ذكره صاحب «السيرة الحلبية» وغيره من أنَّ نزول السيدة حواء كان بجدة، فلا خلاف فى ذلك بين أهل التواريخ، وأما قبرها فقد اختلف فيه، والصحيح أنه القبر الشهير بجدة كما أُعْلِم بذلك بعض أهل الكشف[٢]، وعلى سُرتها قبة جليلة[٣]، وفى الحديث: «من زار والديه» وفى رواية: «أبويه فى كل جمعة كتب باراً» وسيأتى الكلام عليه فى رحلة العلامة العيَّاشى رحمه الله تعالى.

قال العارف بالله سيدى محى الدين ابن عربى[٤]: وقد كنت مرة اعتمرت عن والدى آدم عليه السلام، ورأيت ذلك من صلة الرحم الغافل عنه كثيرون من الناس، فرأيت الملائكة يترحبون بى وهم أكثر فرحًا بهذا الخير العظيم، ورأيت آدم عليه السلام أكثر فرحا بهذا الخير، أو كما قال من هذا المعنى فليراجع، فزيارة قبرها يكون من جملة البر، وكذا أعمال الخير، قال بعض الافاضل:

وفى جدة يمسى السرور مجددا
وللطير فى أفنانها بالهنا صَدْحُ
ويعذب من عَيْذَاب أرياق ثغره
وشام بها من لذة الشرب ما يصح
وأعداؤنا أعداؤكم غير أنهم
ظلام محاه من صداقته الصبح

وقال الفاضل العلامة الشيخ عبد الله العياشى، فى رحلته المشهورة بعد أن ذكر مجيئه من المدينة إلى مكة المشرفة، وقضى مناسكه، قال ما نصه: ومنها مدينة جدة، ولما كان

(١) أصبح الموضع المذكور وسط المدينة على يمين شارع المطار للمتجه إليه (من حواشى المطبوع).
(٢) لا يصح الاعتماد على هذا الرأى القائم على خرافة (من حواشى المطبوع).
(٣) أزيلت القبب من كل القبور، عملا بأمر رسول الله ﷺ لعلى ؓ «لا تدع قبراً مشرفا إلا سويته» (من حواشى المطبوع).
(٤) رأى علماء السنة فى ابن عربى أنه رجل ضال مضل (من حواشى المطبوع).

لى رغبة قوية فى معرفة أرض الحجاز ورؤية ما بها من البلاد غير الحرمين، عزمت على الوصول إلى مدينتها لزيارتها، وزيارة ما بها من المساجد والمشاهد، كالمحل الذى يقال: إن فيه قبر أمّنا حواء.

وممن جزم بأن قبر أم البشر حواء بجدة ابن خلكان فى ترجمة ابن قلاقس الشاعر[١]، وذكره أيضًا فى ترجمة أخرى.

ولأنها فى نفسها من أعظم البقاع فقد ورد فى فضلها وفضل المقام بها، والرباط فيها عدة آثار نقلها الأخباريّون.

فخرجت إلى زيارتها بعد صلاة العصر من يوم الجمعة العاشر من شوال مع طائفة من أصحابنا المجاورين، واكترى لى شيخنا أبو مهدى حمارًا لركوبى، ولم أرَ أسرع مشيا من حمير الحجاز ولا أوْطأ مركبا ولا أقل تعبا مع السرعة المفرطة فى المشى.

فقد كنت أنظر وأنا راكبها إلى أطرافى هل تحرك منها شىء مع الإسراع فى المشى، فلا تكاد تتبين لى حركة شىء منها، مع أن مركوبى ليس من أجاودها، فلقد أخبرت أنه كان حمار عند رجل من أهل مكة يصلى المغرب بجدة فيركب عليه ويصلى الصبح بمكة، وهى مسافة القصر تحقيقا.

أقول: وهذا هو الغالب فى وقتنا هذا على أنه يركبون نحو العشرين راكبا بعد صلاة المغرب فيصلون الصبح بجدة، وقد ركبت مرة فى الساعة الثالثة من الليل سنة إحدى وثمانين[٢] من مكة ودخلت جدة عند شروق الشمس صبيحة تلك الليلة. انتهى.

ثم قال: وهم يتغالون فى ثمن ما هذه صفته منها فيبلغ الحمار مائة دينار ذهبًا، ولقد رأيت حمارًا عند فقيه الحنفية الشيخ الزنجبيلى رافقنا عليه من المدينة إلى مكة تحتقره العين، فأخبرت أنه اشتراه بقريب من ذلك الثمن.

أقول: وفى وقتنا تباع هذه الحمير بمكة تجىء من الشرق من ناحية (الحسا) تسمى الشروق والحساوية وكلها بيض غالبها من مائة ريال فرانسة[٣] وثمانين ريالا إلى ستين إلى

---

(١) ابن خلكان ج ٥ ص ٣٨٩.
(٢) أى (١٣٨٢هـ).
(٣) الريال الفرانسة هو الريال النمسوى الذى فوقه صورة مارى تريزا (من حواشى المطبوع).

خمسين إلى أربعين لكنها غشيمة فى المشى فتتخرج فى مكة وتدرج وتسير أحسن سير، حتى أن عند خروج أهل الركوب من مكة المشرفة إلى المدينة المنورة لزيارة رسول الله ﷺ على الهجن يخرج أهل هذه الحمير بحميرهم نحو الستين والمائة حمار من مكة إلى المدينة المنورة يسبقون الهجن لا يتأخر منهم أحد. انتهى.

ثم قال: ولما خرجنا من مكة من الثنِّية السفلى إلى مناخ الحجاج أسفل ذى طوى، عدلنا ذات اليسار قليلا، وسلكنا فى شعاب هناك، وعقاب ليست بالوعرة وبين مكة وجدة ثمانى قهاوى.

أقول: وهى الآن اثنتا عشرة قهوة ينزل المارون بها فى كل قهوة فيستريحون يشربون القهوة أو الماء ويشترون علفًا للدواب، أو طعامًا لهم.

فأولها: قهوة فى مقابلة التنعيم فيما أظن فى شعب مررنا عليها قرب المغرب.

أقول: وهى المعروفة الآن بقهوة البستان ثم قهوة أم الدود ثم قهوة المقتلة ثم قهوة سالم. انتهى.

والثانية: فى منفسح الوادى الذى يُخرج منه إلى رمال الحديبية.

والثالثة: عند بئر الحديبية عند منتهى الحرم، ومنها يُحْرِم الناس بالعمرة من شاء منهم، وحول البئر مسجد معطل قد انهدم أكثره، وقد طلبنًا من أهل القهوة حبلا ودلوًا حتى استقينا منها، وشربنا من مائها للبركة، لما ورد فى الصحيح أن النبى ﷺ بارك عليها حتى غزر ماؤها، أو تَفَل فيها.

والرابعة: فى قرية تسمى حَدَّة قريبة من شفير الوادى الكبير الذى يأتى أصله من مَرِّ الظهران، وفيه أثل وعشب كثير ومزارع إذا جاءَ السيل.

ثم الخامسة: حول مزرعة كبيرة هناك يجلب منها بطيخ كثير إلى مكة مشهور عندهم بالجودة تسمى بحرة.

والسادسة: عندما يريد الذاهب الصعود إلى جبال يمر الطريق فى وسطها.

والسابعة: عند منقطع الجبال حيث ينحدر الذاهب إلى مكة.

والثامنة: التى عند جدة بالمحل المعروف بالرغامة.

وقد بلغنا إليها بعدما ارتفعت الشمس جدًا واتسع النهار واشتد الحر، وهى مدينة كبيرة ممتدة مع ساحل البحر نحو ميلين، فى كلا طرفيها حصار متقن البناء فيه مدافع كثيرة وعسكر لا تفارقه، وقد رأيت فى الحصار الغربى منها ما يستغرب وصفه من المدافع طولا وكبرا، ورأيت فيها مدفعًا له خمسة أفواه بصنعة غريبة.

وفى مرساها سفن كثيرة كبار وصغار وغالبها معمول بالشريط، صنعة عجيبة ليس فيها مسمار، وهى مع ذلك كبيرة المقدار متباينة الأقطار، واسعة الأنحاءِ تحمل أضعاف ما تحمل غيرها من السفن.

وأسواق البلد ممتدة مع جانب البحر، وغالبها أخصاص واسعة مفتحة إلى البحر، وإلى ناحية البلد، فيها قهاوى ومجالس حسنة يبالغ أصحابها فى كنسها وتنظيفها وَرَشِّها بالماءِ، وفيها جلوس غالب أهل البلد، وقد اتخذوا فيها أسِرَّة كثيرة منسوجة بشريط الدَّوْم، بصنعة محكمة.

وكان نزولنا بوكالة هناك قريبة من المسجد، فإذا كان الليل خرجنا إلى جانب البحر، واكترينا لكل واحد سريرًا يرقد عليه بدرهم إلى الصباح.

ومسجدها الكبير من أحفل المساجد وهو المعروف بالشافعى، فيه أعمدة من الساج، مخروطة على هيئة أعمدة الرخام المخروط، طيب عودها، يحسبها من لم يتأملها رخاما أحمر، أخبرنى شيخنا أبو مهدى أنه يقال: إن أعمدة ذلك المسجد جلبت فى صدر الإسلام من كنيسة فى أرض الحبشة عندما افتتحها المسلمون.

وزرنا المحل الذى يقال: إن فِيها قبر أُمنا حواء، وقد ذرعه بعض أصحابنا فكان قريبا من ثلاثمائة ذراع، والله أعلم بصحته.

وكان فيها مفتيان أحدهما شافعى المذهب، وهو الشيخ عبد القادر، وهو رجل حسن الأخلاق، ولقيت أيضًا مفتى الحنفية الشيخ مصطفى، وهو رجل له مشاركة فى العلوم سالك على طريقة السادة النقشبندية، أدرك الشيخ تاج الدين ابن عثمان النقشبندى، وله خبرة بكلام القوم. انتهى. من الرحلة المذكورة.

ومنها قوله: وقد شاهدنا فى هذه الخطرة ـ يعنى فى السفر من جدة إلى مكة ـ من العافية التى بسطها الله فى الطرق والقرى والأمان التام ما قضينا منه العجب، فمن ذلك أنَّا لقينا عِيْرًا فى ليل مظلم، تحمل أحمالا من البَزِّ الهندىِّ والقماش الرفيع، نحو من عشرين جملا، وطلبنا من أصحابها من نسأله عن خبر البلد فلم نَجِدْ معها أحدًا، وذهبنا نحوًا من ميل، فوجدنا أصحابها فى قهوة مستريحين، وأخبرونا أنها كذلك حتى لو ذهبت إلى مكة لم يعترضها أحد، وأخبرونا بعجائب من مثل ذلك وقعت فى أيام الأمير زيد ووالده محسن، فمن ذلك أنهم زعموا أن رجلا جاءَ إلى السلطان محسن فقال له: إنى وجدت بالفلاة الفلانية حملا من البز، فقال له: ومن أخبرك أنه من البَزِّ؟! فقال: مسسته برجلى، فأمر بقطع رجله، وقال له: لم مسسته برجلك؟ إلى غير ذلك من أمثال هذه الحكايات، ولا نعلم صحيحها من سقيمها.

ومن لطيف ما شاهدناه من أمان هذه الديار وعافيتها أن المسافرين من مكة إلى جدة ومن جدة إلى مكة يكترون الحمير للركوب، ولا يذهب صاحب الدابة معها، فإذا بلغ المكترى إلى المحلِّ الذى ذهب إليه أرسل الحمار ولا عليه فيه، فلا يأخذه أحد إلاَّ ربه، إن كان فى ذلك البلد أو نائبه، ولكل واحد من أصحاب الدواب نائب فى غير البلد الذى هو فيه.

وقد رافقنا من مكة إلى جدة ذهابًا وإيابًا صاحبنا الحاج على العقاب التونسى، وكان من التجار المجاورين بمكة المشرفة فى هذه السنة فكان معه جملة من أصحابه فلم يتركنا ننفق فى هذه السفرة ولا درهمًا واحدًا، فكان الإنفاق من عنده فى كل ما ينوب من منازل الاستراحة وكراء المنازل وما ينوب فى أيام الإقامة، فجزاه الله خيرًا. انتهى.

الخاتمة

فى بعض حكايات لطيفة وغيرها، وقعت فى عرصاتها وفى بناء سورها

قال العلامة الفاسى فى تاريخه(١)، وفى «الدرر المنظمة»: إن فى سنة ثلاث وثمانين ومائة من الهجرة جاءت الحبشة إلى جدة جنودًا وجرودا فى عَدد وعُدَدٍ، فوقعوا بأهل جدة فخرج الناس من مكة إلى جدة غزاة فى البحر، وأميرهم عبد الله بن إبراهيم المخزومى، عامل الرشيد العباسى، فقاتلوهم وصرفهم الله، وذلك لما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «حجة لمن لم يحج وغزوة لمن قد حج خير من عشر حجج، وغزوة فى البحر خير من عشر فى البر، ومن جاز البحر فكأنما جاز الأودية كلها، والمائد فيه كالمتشحط فى دمه»(٢) أخرجه أبو ذر فى منسكه.

قوله: والمائد هو الذى يدور رأسه من ريح البحر واضطراب السفينة بالأمواج من ماد يميد، إذا مال وتحرك، ويقال: تشحط المقتول بدمه أى اضطرب فيه. انتهى.

وفى سنة إحدى وخمسين ومائتين نُهِبت جدة وأهلها، وقتل بها قتلاً ذريعًا، والفاعل ذلك كله إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط، بعد أن فعل أفعالاً قبيحة بمكة، فهرب عامل مكة وجدة، وهو جعفر ابن الفضل بن عيسى العباسى فنهب الكعبة، وأخذ الذهب الذى فيها وكسوة الكعبة، وأخذ من الناس مائتى ألف دينار، ثم رحل بعد مقامه فى مكة سبعة وخمسين يومًا إلى جدة، فحبس عن الناس الطعام وأخذ أموال التجار، وأصحاب المراكب بعد أن وافت المراكب من القلزم، ثم رجع إلى مكة وطلع إلى عرفة يوم الموقف، وقتل من الحجاج

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ١٤١.

(٢) اخرجه صاحب الكنز برقم ١٠٥٩٧ وعزاه للطبرانى فى الكبير.

وغيرهم نحو ألف ومائة، وهرب الناس ولم يقفوا بالموقف لا ليلاً ولا نهارًا، ثم رجع إلى جدة فأفنى أموالها[١].

وذكر العلامة ابن خلدون أنه كان يتردد إلى الحجاز فى سنة ٢٢٢ وأنه خرج فى أعراب الحجاز ويسمى بالسفاك حتى أهلكه الله بالجدرى فى آخر سنة ٢٥٢، لأنه ضَيَّق على أهل مكة وأهل جدة تضييقًا زائدًا، ثم أخذه الله أخذ عزيز مقتدر.

وفى سنة ٨٠٦ تولى أمر جدة جابر بن عبد الله المعروف بالحَرَاشِىّ، أصله من التجار فولاه الشريف حسن بن عجلان صاحب مكة أمر جدة، فقام بمصالحه أحسن قيام، وكان يحسن السياسة فى استيفاء المكوس، ولكنه زاد فيها كثيرًا عما كانت عليه قبل ولايته، وبنى الفرضة التى بجدة ليحاكى بها فُرْضَة عدن، وكانت فرضة جدة على غير هذه الصفة، ثم تغير عليه صاحب مكة لخبث لسانه، فقبض عليه فى أوائل رمضان سنة ٨٠٩ ثم رده إلى عمالته بجدة، ثم تغير عليه صاحب مكة لما نسب إليه للسيد رُمَيثة بن محمد بن عجلان على دوام عصيانه لعمه، فإن رميثة هجم على مكة فى رابع عشر جمادى الآخرة، وفى سنة ٨١٦ هجم المذكور على جدة فى رمضان من السنة المذكورة ونهب جدة فسعى جابر أمير جدة بينهما بالصُّلح، ووقع مع ذلك من جابر المذكور مخالفة لمخدومه أمير مكة فى بعض أوامره، فقبض عليه بمنى، فى النفر الأول ثم قرر على أمواله وأُشْعر بقتله، فصلى ركعتين وخرج من أجياد مع الموكلين بقتله إلى باب المعلا فشنق به، ولم يظهر منه جزع فى حال شنقه، ولافى ذهابه إلى الشنق، ولا تكلم بكلمة واحدة، ودفن بالمعلا.

وكانت أدعية الحجاج عليه كثيرة فى موسم هذه السنة بسبب زيادته عليهم فى أمر المكس، فأُصيب مع المقدور بسبب دعائهم، فإن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب كما فى الحديث الشريف. انتهى من «تاريخ الفاسى»[٢].

وأمَّا سبب بناء سورها الموجود الآن لأنها كانت غير مسورة وكانت العربان فى أيام الفتنة تهجم على جدة وتنهبها مرارا قال العلامة القطبى فى «تاريخه»: كانت العربان كثيرًا ما تنهب جدة حتى أن عربان زُبَيْد ـ بضم الزاى قبيلة مشهورة قرب جدة ـ أسَرَتْ فى أيام الفتن

(١) تاريخ الطبرى ج ٩ ص ٣٤٦، شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩٥.
(٢) العقد الثمين ج ٣ ص ٤٠٠.

الخواجا محمد بن يوسف القارى، وكان من أعيان التجار من أهل الاعتبار فهجموا على بيته بجدة، وأنزلوه من السطح، وأركبوه معهم على ظهر فرس ارتدفه واحد من زُبَيْد، وأخذوه إلى أماكنهم، وهو قريب عقبة السويق من درب المدينة المنورة، ومكث عندهم إلى أن اشترى نفسه بثلاثين ألف درهم، فردوه إلى مكة بعد أن استوفوا هذا القدر منه(١).

ونهبت جدة مراراً فى الفتن التى وقعت فى أرض الحجاز بعد وفاة الشريف محمد بن بركات، وجرت أحوال يطول شرحها مذكور بعضها فى تاريخنا: «نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر» فى الجزء الثانى والثالث منه.

وفى سنة ٩١٩ وقيل: سنة ٩١٧ أرسل السلطان الغورى الأمير حسينا الكردىّ وجهز معه عسكرًا من الترك والمغاربة، لدفع ضرر الفرنج فى بحر الهند، وكان مَبْدأً ظهورهم، وأمره بدفع الفتن الواقعة إذ ذاك بجدة، وجعلها له إقطاعًا فلما وصل الأمير المذكور إلى جدة بناه فى هذه السنة، وهو الموجود الآن، وكان ظلومًا غشومًا يسفك الدماءَ، ولا يرحم من فى الأرض ليرحمه من فى السماء، وكان ينصب أعوادًا للصلب والشنق (والشنكلة) وأقام جلادين للقتل والتسويط والضرب والبهدلة، فأىٌّ مسكين وقع فى يده قتله بأدنى سبب، وكان أكولاً يستوفى الخروف وحده، مع أرغفة عديدة، ونفائس له معدة، وكان أصله كرديًا دخيلاً فى وظائف الجراكسة، فأراد الغورى إبعاده، وكان معتنيًا به فأعطاه جدة، فلما أتى جدة سوَّرها وبنى أبراجها وأحكمها، وهدم كثيرًا من بيوت الناس، مما يقارب موضع السور، لوضع الأساس، واستخدم عامة الناس فى حمل الحجر والطين، حتى التجار المعتبرين وسائر المتسببين، وضيق على البنائين بحيث يحكى أن أحدهم تأخر قليلاً عن المجىء فلما جاءَ أمر أن يُبْنى عليه حيًا فبنى عليه واستمر قبره إلى يوم الجزاءِ، إلى غير ذلك من الظلم الشديد والجور العنيد، وبنى السور جميعه فى دون عام من شدته وغشمه وإقدامه وظلمه. انتهى(٢).

وكان طول أساس السور المذكور فى الأرض اثنى عشر ذراعًا، وطول المحيط بالبلد من جهة القبلة واليمن والشام ثلاثة آلاف ذراع، غير الأبراج، وهى ستة أبراج، دور كل برج منها ستة عشر ذراعًا بجدرانه، وعرض جدار السور أربعة أذرع، وأما الأبراج فطول

(١) النهروالى: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٤٤٤ ـ ٤٤٥. (٢) النهروالى: الإعلام ص ٤٤٥.

الشامى واليمانى على وجه الأرض خمسة عشر ذراعًا، والبرجان القبليان الملاصقان لباب البلد المسمى أحدهما باب الفتوح وهو الأيمن، والآخر باب النصر وهو الأيسر، وطولهما على وجه الأرض أيضًا كذلك، وأمَّا البحريان فقد نزل بهم الغواصون فى البحر اثنى عشر ذراعًا، وجميع ما ذكر من الأذرعة فبذراع العمل وهو ذراع ونصف بذراع النَّجَّار(١).

ثم ما زال الأمير حسين الكردى يقتل ويشنق فى جدة بغير حق حتى توجه إلى الهند، ثم سفك الدماء بأرض اليمن، وافتتح فى طريقة مملكة بنى طاهر ظلمًا وعدوانًا، بعد حروب يطول شرحها، وأقام بها نُوَّابًا له، وكانوا ملوكًا من أهل السنة والجماعة، ثم رجع إلى مكة المشرفة، وكانت إذ ذاك دولة الجراكسة قد انقرضت بمصر، وتوجه الشريف أبو نُمَىّ بن بركات وعمره اثنتا عشرة سنة إلى مصر ورجع مسرورًا بما طلب من السلطان سليم، وأمره بقتل حسين الكردى، فنصره الله عليه وأُخِذَ الأمير حسين الكردى مُقَيَّدًا من مكة إلى جدة، ورُبِط فى رجله حجر كبير وغُرِّقَ فى بحر جدة فى موضع يقال له (أم السمك) فأكلته الأسماك بعد أن كان من الأملاك، وتفرق فى البلاد جنوده وأعوانه بَدَدًا ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (سورة الكهف: ٤٩) كذا فى «تاريخ القطبى»(٢).

(٣)وفى أوائل سنة ١٢١٨ سادس شهر محرم الحرام سافر أمير مكة الشريف غالب بن مساعد من مكة إلى جدة خوفًا من طائفة الوهابيين(٤) حين أقبلت على مكة بعد خرابهم للطائف وقتلهم لأهله بغيا وعُتُوًّا(٥)، فترك مكة ونزل جدة للحصار، وبقيت الرعايا بمكة لا

---

(١) ابن فرج: السلاح والعدة ص ٤٠: وذراع النجار التى أشار إليها المؤلف هنا تبلغ ٧٧,٥سم، فتكون ذراع العمل التى قدر بها المؤلف أبعاد سور جدة هى ٧٧,٥سم × ١,٥ =-١١٦,٢٥ سنتيمتر (المكاييل والأوزان الإسلامية ص ٩١).

(٢) الإعلام للنهروالى ص ٢٤٦ وما بعدها.

(٣) الحواشى من هنا إلى قوله: «تلصق فى الزلة» ص ٤٦ مما كتبه الشيخ حمد الجاسر فى هذا الموضع من المطبوع.

(٤) كلمة الوهابيين ألصقها بدعاة الإصلاح أعداؤهم للتنفير من قبول تلك الدعوة، ولكنها أصبحت تطلق على كل من دعا إلى تطهير العقيدة السلفية من البدع والخرافات، ولله در الملا عمران صاحب لنجة حيث يقول:

إن كان تابع أحمد متوهبًا فأنا المقر بأننى وهابى

(٥) ما حدث فى الطائف أكثره - إن لم يكن كله - من البوادى التابعة منه، وقد أوضح ذلك الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى رسالة مطبوعة معروفة فى كتاب «الهدية السنية».

يقر لهـا قرار، وقـد استـسلم أهلُها للشـهادة، وطلبـوا من الله الحسنى وزيادة، حَـتَّى قال قائلهم.

مَـسَـــاكِـيْنُ سُكَّانُ أُمِّ الْـقُـرَى
فَكُـلٌّ يَنُـوْحُ علـى نَفْـــسِـــهِ
يُقَـــضَّــــونَ أَيَّامَـــهُمْ كُـلَّهَـــا
عَلَـى أَسَفٍ أَوْ عـلى عَـكْسِـــهِ

وذلك بعـد أن دافع أشـدَّ المدافـعـة وقاتل أعظم المـقـاتلة، ولكن زحف عليـه هذا الخارجى[1] بالتغـلـب والأعراب، وهم كالبـهائم والوحـوش إلا أنهم أحْزَاب، وقـد ذكرت القصة تفصيلا فى الجزءِ الثالث من تاريخنا المسمَّى «نزهة الفكر فى الحوادث والعبر» وكان لما استولى سعود الوهابى على مكة ومـا جرى له فى عرصاتها من كل طريق وسكَّة، بدَّلَ حرم الله بالخِيفة بعد الأمان، وخـالف فى أفعاله ما جاء به القرآن[2]، أرسل إلى جدَّة علىًّ ابن عبـد الرحمان شـفيق المضـايفى عثمـان، بكتاب لأهل جدة يطلـب منهم الدخول فى طاعته، وانخراطهم فى سلك جماعته، فأجابوه استهزاءً بعقله، وسخروا من حماقته وجهله وقالوا: بأننا رعية لمولانا الشريف، فطاعـتنا من طاعته، ولا نكون إلاَّ من جماعته، وعلى كُلِّ حال هَبْ على الفـرض والتقدير، لو فـرض أننا نطيعك ونعصـيه، ونقربك ونُقْصـيه، وندخل معك فى هذا الدين، ونُقِرُّ على زعمك أننا من المشـركين، هل تطلب منا شيئًا من الدراهم؟ أم يصح الدخول فى دينك بدونها؟.

فلما قرأ الكتـاب، فرح بما فيه من الجـواب، وظن من قلة عقل هذا الأحمق أن هذا الكلام حق، وهم يسخرون من حمـاقته، ويعجبون من رقاعـته، فأرسل يطلب مائتى ألف

(١) وصف أتباع الشيخ مـحمد بأنهم خوارج أصله أن الدولة التركيـة وأنصارها لكى ينفروا الناس من قبول تلك الدعوة السلفية وصموا أهلهـا بالخروج، وقد تصدى علماء الدعوة للرد على هذه الفرية، وأوضحوا أنهم براء من كل مذهب يخالف الكتاب والسنة.

(٢) بل الأمر بعكس ذلك، فقد طهر الإمام سعود بيت الله مـما كان يجرى حوله من البدع والخرافات وأمور الضلال، وهذا ممـا اعترف به كل إنسان منصف حتى من علماء مكة أنفـسهم، كما أوضح ذلك الإمام الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى رسالته التى سبقت الإشارة إليها.

ريال، وستين ألف مشخص عتيق، وبستة آلاف ريال من القماش الرقيق، فتوجه لقبض الأموال فى الحال وركب متن الطريق، بكل فاجر زنديق[١] وتوجه إلى جدة، وفى قلبه لقبض الدراهم حِدَّةَ، وكان يوم الجمعة الثانى والعشرين من محرم سنة ١٢١٨.

فخرج قبل صلاة الجمعة، معه المنافقون والكافرون: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (سورة الشعراء: ٢٢٧) وكان مدة إقامته بمكة أربعة عشر يومًا، ولما أناخَ بساحل جدَّة، وقد استعد له الشريف بالسلاح والعدة، فتبسم له فَمُ المدفع بالقلل، وصار يُشَتِّتهم من محل إلى محل، فحملوا حَمْلَةَ رجل واحد على السور، وراموا ينقزون وينهبون القصور، فتشتتهم المدافع حتى ينتهزمون، وما زالوا على هذا الحال مدة بلياليها ثلاثة أيام، ولحومهم يَشْوِيها البارود، وسعود يُزَيِّنُ لهم الأمانى والوعود، وإبليس يقول له: المال هنا لا نعود، فكانوا لا يصلون إلى المخيم، إلا وقد شاهدوا نار جهنم.

وما زال هذا الشقى يقاتل تَجَبُّرًا وعنادًا، حتى مضى له ثمانية أيام، ثم ارتحل عنها بالخزى وقام، فملأت قتلاهم السهل والوهاد، حتى شبعت الوحوش من تلك الأجساد، وجاء تاريخه (منقلبه سعود مغلوب) فارتحل هذا المعكوس، وقد رأى من الشريف بجدة حرب البسوس، فتوجه الشقى من أشراف مكان إلى حيث يطلع قرن الشيطان[٢].

وفى يوم من بعض الأيام ورد عبد الوهاب أبو نقطة وظن أنه يجد بمكة سعود، ويقاتل معه بجيش ويعود، فما وجده إلا وقد خذل، فلم يدخل مكة المحمية ونزل بجيوشه على عين الحسينية، وخطر ببال هذا المرقد[٣] أنه يقاتل بندر جدة ويحقد، فأقام بالحسينية بياض يومه بقومه، وأرسل للشريف عبد المعين كتابًا ومعه خمسة عشر ريالا، وكتب فيه فاسد العقل فقال ـ وكان الشريف عبد المعين من عمال سعود: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الوهاب أبو نقطة إلى عبد المعين بن مساعد، السلام عليكم

(١) لا تجب الإطالة بالتعليق على الكلمات البذيئة التى لا تليق بعاقل، فضلا عن عالم، ويظهر أن الحضراوى استقى كثيرا مما ذكرنا هنا من مؤلف ابن عبد الشكور الذى نشرت مجلة «العرب» خلاصته. (س ١٠ ص ٨٠١ إلى ٨٦٨).

(٢) يشير إلى حديث معروف، إلا أن العلماء المحققين قد أوضحوا أن المقصود به بلاد العراق لا بلاد نجد، فتلك شرق المدينة.

(٣) كلمة المرقد سيئة استقاها الحضراوى من سلفه ابن عبد الشكور.

ورحمـة الله وبركاته ـ اعلم أن قصدى آخـذ جدة، واستـعديت لها بالسلاح والعـدة، ومذ حللت بهذا النادى نفد زادى، فخذ لى بخمسة ريال دقيق وخمسة ريال عَلِيق، وخمسة ريال سمن، فلربما يطول علينا زمن الحصار، يلحـقنا من عدم الزاد مضار، وأرْسل لنا قدر مائة سُلَّم ننقز عليها السور، ونهجم على البندر المذكور(١).

فقرأ الشريف عـبد المعين كتابه بمـحضر من أهل مكة، وأناس من جماعـته فأخذهم العجب من غبـاوة عقله وحماقـته، فأرسل له مع رسوله كل ما طـلب وفاض به الأمر إلى العجب، فتوجه من الحسـينية إلى أن وصل نصف طريق جدة، وَحَرَّض على القتال جنده، ولم يتجاوز (الركانى) بجنوده حتى خفق ريح الدبور ببنوده، فنأى عن الكفاح، وامتنع عن الرواح، ورجع ثانيـا القهقـرى، ونزل بِفِنَاء أُمِّ القرى، فـسألوه لم رجـعت عن القتـال أيها الأميـر وأنت من رجال الحـروب، وأهل التدبير؟ فـقال: قد أسلم عـلى يدى كلُّ من كان بجدة وأطاع، ولم يبق بيننا قـتال ولا نزاع، فانظر لهذا الكذوب الأصـقع كيف يروم بهؤلاء الأوغاد أمراً دونه خرط القـتاد، كيف وهو يعلم أن سعود ما قـام عنها، ورجع، إلا بعد ما نصنع؟ مع أنه أحد جبابرة العالم، ولكن كما قيل:

ذُوٌ الْجَهْلِ يَفْعَلُ مَـا ذُو الرَّأْيِ يَفْعَلُهُ

فِى النَّائِبَات، ولَكِنْ بعدما افْـتَضَحَا

وفى شهر محرم أيضًا من سنة ١٢١٩ أقبلوا لقتال أهل جدة المسلمين أعداءُ المؤمنين، فأحاطوا بجدة وأطرافها أراذل الأعراب وأجلافُـها، فنادى شريف مكة سيدنا الشريف غالب ـ وكان قد ملكها ـ على سكان البلد الحرام بحمل السلاح، والخروج إلى الزاهر (نفير عام) فـخرج الناس على طبـقاتهـا إلى الزاهر، حامـلين السلاح، يبـيتـون من وقت المسـاءِ إلى الصباح، حتى مضى لهم سـبع ليال، فتحقق انكسار فرقة الضلال، بوصـول السيد عبد الله ابن شنبر مـبشراً بتـحقيق الخـبر على (أن) اثنى عشـر ألف مقاتل أنـاخت بذلك الساحل، وأحـاطوا بالسور، وفـى كل يوم يحملون عـلى البلد حملـة واحدة، ولم يجـدوا من الله مساعـدة، فيعودون إلى الخيـام، فإذا قتل منهم خلق كثـير، ينفرون كنفرة الحـمير، ويقع

(١) لا شك أن هذا الكتاب مخـتلق وليس صحيحًا، يدل على ذلك أسلوبه وهو منقـول عن كتاب ابن عبد الشكور.

عليهم فى اليـوم التالى كالأول من زيادة أعمـال القنبرة والمدفع، حـتى أفنى منهم جملة، حتى مـضى لهم ثلاثة أيام فـارتحلوا بالويل فى جنح ليل، وامـتلأت من قـتلاهم الحـفر، فتـوجه ابن شـقبان عـلى طريق الوادى وأصبح بالمـضيق، وأخذ عـثمـان طريقًا غـير هذا الطريق.

وفى ثمانية عشر من شعبان سنة ١٢٢٠ فى أوان الترحيم أناخ على ساحل جدة المارق من الدين المضايفى عثمان، بجملة من العربان، وكان وروده إليها غدرًا واختلاسًا، قبل أن تَهُبَّ أَعْـيُنُ الحراس من النُعـاس، لكن أخطأتْ استـه الحفـرة وما رجع منهـا إلا بالخيـبة والحسرة، فـقسم قومه من ثلاث جهات، وجـعل خلفهم الخيل حتى التصـقوا بسور البلد وقد صبحوا ومعهم كثير من السلالم وقربوها، ومعاول من الحديد لأحجار السور لينقبوها، ثم صعد جانب منهم على تلك السلالم فرقى، ولـم يكن إلا كلمحة قبل أن يتكاملوا عليها حتى ضربت عليهم المـدافع والقنابر، حتى انهزمت الفئة الظالمة ـ ومـات كثير منهم ـ إلى مخيم عثمان بالخيبة والخسران.

ثم عاد عثمان العنيـد بجيشه إلى قرية المدرة، وأعمل رأيه فى مكيـدة مبتكرة، فجعل يُرَاسِلُ العربان من كل مكان، فكروا عليه حتى امتـلأ الوادى، وكلما اجتمع عليه ناس فى هذه المدة يرسـله إلى طريق جدة، وأبقى لمـحاصرة جـدة واهس شيخ زبيد، فـكم قتلوا حولها من الـفقراء والمساكـين، حتى وقع الفناءُ منهم فى التكارنة الذين يجمـعون الحطب والحشيش كما قيل:

يَعُـدُّوْنَ قَـتْلَ الْمُـسْلِمِـيْـنَ تَقَـرُبًّا
وَهَيْهَـاتَ (هَيْهَات) الـتَّقَرُّبُ بِالْبُـعْدِ

وكان قد اشـتد الحصار على مكة وغلا الأسـعار وعُدِم القوت وفنى المـوجود، حتى أكل الناس الجلود، فبلغت بمكة الكيلة مشخصين، من الحب والرز، وقس على ذلك.

ثم إن الشـريف غالب أمـير مكة وَسَّطَ ناسًـا للصلح، وأن يدخل تحت أمـر سعـود، ورأى فى ذلك إحيـاءً لأهـل مكـة مـن الهـلاك والجـوع والحصـار، فـتم ذلك وكان، ثم فَرَّق جنـده الأتراك وغيرهـم على ممالكه كالينبع واليمن وسواكن ومُـصَوَّع وغيرها، ونزل

هو وعـبدى باشـا، والى جدة، وأرسل مـصطفى كـتخـدا جدة نائبـا على البندر، يجـمع العشور.

ثم فى تسع وعشرين محرم سنة ١٢٢١ أرسـل إلى بندر جدة أربعين خيالاً من الأتراك مع تفقجى باش، وعيَّن لهم ما قرره من المعاش، فما زالوا بساحـتها مقيمين، خمسة أشهر بثغرها مرابـطين، ثم لما اطمأن على رعيته من الفـتن، وسكن روعهم من المحن، عنَّ له أن يتوجـه لإصلاح بندر جدة وتـحصينه بالخندق والسـور، فتوجـه من مكة إليهـا فى غرة صفر، وفى اليوم الثانى صبَّح البندر فنزل فى دار الوزارة، ومستقر الإمارة.

وفى يوم الجمعة رابع شهر صفر نَهَى عن شُرْب الدخان بجدة فى الأسواق، وأمر بمنع بيعهِ فى الدكاكين على الإطلاق، لأنه كان من جملة مذهب الوهابيين.

ثم أمر بعـمارة الخندق ورأى أن عـمله بالمساحى صـعبًا على الـفعلة يحتـاج إلى مُدَّة مطوّلة، فاخـتار بنيانـه بالبقر أسـهل وأيسر، واشتـرى ثمانين ثور، لنفى التـعب والجور، وجمع المعلمين أهل الهندسة والصناعة، وجعل أربعـين يشتغلون من جهة الشام، وأربعين من جهة اليمن، فشرعوا فى تعكيره كما أمر، من أول شهر صفر، وما زالوا عليه مجتهدين شمـالا ويمينًا، إلى شهر جـماد الثانى، وهم آخذون فى تـشييد تلك المـبانى، ثم لم يبق للشغل بالبقر محل، لغشيان المـاءِ باطن الخندق، ووجدوا حجراً جهة الشام قدر مائة ذراع يقال له: المنقبة لصلابة أحـجارها متصعبة، فأمر الحجَّارين أن يفـقشوها بمعاول الحديد، ويحرقونها بالنار، وما زالوا مـجتهدين الاجتهاد التام، إلى آخر العام، فـجاءَ كما تراه خندقا يروق الخاطر ويشوق الناظر.

أقول: والآن قد انسدَّ وانهـار عليه التراب، ولم يبق له إلا الآثار، وكانـت قد تحصنت البلاد به غاية التحصين وتمكنته نهاية التمكين، وانقطعت آمال العدو عن المطامع، كما هو نص فى الواقع.

وفى يوم الأحـد ثانى جمـاد الثانى سنة ١٢٢١ أمـر ببناء برج على نفس باب (البـغاز) المسـمى بالعلم يمنع الداخل إلى الْمَرْسَى إن قصـده عنوة، فبنوا الأساس حـتى اعتلى عن وجه الماءِ ثم تركوه إلى ما.

وفى ثمانية عشر صفر كان وصول حمد بن ناصر ومعه أهل الدرعية من رؤساء الفئة الوهابية، فلما وصلوا إلى مكة بكتاب من سعود، وكان صاحب مكة بجدة فنزلوا إليها لملاقاة الشريف، ولإظهار ما جاءوا به من الإفك والتزييف، فانعقد الصلح بينهما، وزال الإيهام واتضح الأمر اتضاحًا تام، ونزل حمد بن ناصر إلى مسجد عكاش فى الحال، وقرأ رسالة جَدِّه التى يُكفِّر فيها المسلمين(١)، وأمر الناس وتجار البلد، وسكانها وساداتها وأعيانها، وما زالوا يحضرون قراءتها حتى أتمها، وخلط فيها ابن عبد الوهاب، وآثر الخطأ على الصواب، وهى فى الحقيقة هذيان، يضحك منها الصبيان، تلخيص ما فيها: تكفير جميع من فى الأرض بالطول والعرض.

وفى يوم خمسة وعشرين من شهر صفر أمر بهدم قبب الصالحين، لتطيب نفوس أولئك المعاندين، وأمر على أهل جدة بالإمساك عن شرب التنباك، وكل ذلك تسترا، ومداوة لإخماد نار الفتنة، وما أحوج الناس على طاعتهم على مثل هذا المقدار، غير ما وقع لبلد الله من الحصار، وإلاَّ فمعاذ الله أن يرتضوا بالدخول فى دينه المعوج، والخروج من الدين الحنيف الأبلج(٢).

وأمر الشريف بإبطال نَدْب نوبته(٣) ونوبة والى جدة حتى يفرج الله هذه الشدة.

---

(١) يقصد رسالة من الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله، وهو لم يُكفِّر إلا من كفَّره الكتاب والسنة، كما يعرف ذلك من اطلع على مؤلفاته ومؤلفات أنصار تلك الدعوة السلفية والقول بأنه يُكفِّر المسلمين فرية قديمة، تصدى للرد عليها علماء الدعوة الإصلاحية منذ عهد الشيخ، رحمه الله، إلى هذا العهد.
والشيخ حمد بن ناصر بن معمر الذى تولى قراءة تلك الرسالة من كبار علماء الدعوة السلفية وهو الذى تولى مناظرة علماء مكة فى ذلك العهد حتى أقنعهم بالحجة والبرهان بصحة تلك الدعوة الإصلاحية، وأنها حقيقة الدين الإسلامى، كما أوضح ذلك فى رسالته «الفواكه العِذاب» المنشورة فى كتاب «الهدية السنية».

(٢) الحضراوى من أولئك الجهال بحقيقة دعوة الشيخ محمد، رحمه الله، فهو لم يأت بدين جديد، وإنما جاء مجددًا للدين الإسلامى الحنيف الذى ألصق به الجهال من الخرافات والبدع وأمور الضلال ما جعله يبدو غريبًا على الحضراوى وأمثاله، كما جاء فى الحديث الشريف: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ».

(٣) يقصد الموسيقى التى تدق له أو لوالى جدة.

وفى سنة ١٢٥٢ كـان أول وصول قنصل الانكليـز بجـدة وتوطنه بها، ونصب له بهـا (بنديرة) وهى أول بنديرة[١] نصبت بجدة، ولم يعهد توطنهم بها قبل ذلك.

وفى سنة ١٢٧٤ كان بها فـتنة عظيمة وهو أن أبناءَ ابراهيم جوهر تخاصـموا مع صالح جوهر، كانوا رعـية الانكليز، فأحب صـالح جوهر أن يكون رعية للدولة العـلية لقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (سورة المائدة: ٥١) وأدار (بيرق)[٢] سفينته عثمانى، ضداً فى أبناءِ إبراهيم جوهر، والحاج فرج يسر، كونه كان مُعَضِّدًا لهم، فأشار الحكومة فى ذلك، أى على علامة سلـطان الإسلام، وحامى حمى بلد الله الحرام، ومـدينة النبى عليه الصلاة والسلام، فحين رأى القنصل ما ذكر، أرسـل لأحد قباطنهم، وأمره أن ينزل البيرق ويضع بيرق الانـكليز محله فـفعل، فـغضب حينـئذ القنصل، وأرسل إلى صـالح جوهر، وحبسـه لتعديه وخروجه على حكـومته بغير أُصـول عنده، فاغتاض قائم مـقام جدة لذلك وأرسل لكبـير الحـضـارم: حيث لم يكن عندى بـجدة عـساكـر بكثـرة، فخلَّى جـملة من الحضارم، بالسلاح يمرون على بيت القنصل ترهيبًا له، وهذا من سخافة عقل القائم مقام، وعدم درايته بأُصول الأحكام، وأن العامة والرعاع إذا قامت لا يردها شىء.

وكان ذلك القـنصل المذكور أحـمق من هَبَنَّقَةَ، وأشـأم من طُوَيس[*]، حين مَـدَّ يَدَهُ للبيرق وقلعه، ودَعَسَهُ وقد زام، وما خشى الحجة والالتزام.

وفى الحديث: «الـفتنة نائمة، ولعن الله مـن أيقظها»[**] أو كمـا قال ـ فحـين سمع الرعاع من الناس، والغـوغاءُ هذه الفعلة، أخـذتهم دائرة الغفلة، وربما كـانت تتداوى هذه الأمور بأقل من ذلك، ولكن المقدور يدور، ولله عاقبة الأمور، كما قيل:

إِذَا أَرَادَ الله أمْـــــرا بـامـــــرئٍ
وكـــان ذَا عَـقْل وَسَـــمْع وبَصَـــرْ
أَصَم أُذُنَيْـــهِ وأَعْـــمَى قـلبـــه
وسَلَّ عـــقـله سَلَّ الـشَّـــعَـــرْ

(١) البنديرة: العلم. (٢) البيرق: العلم.

(*) انظر فى أشأم من طويس مجمع الأمثال للميدانى ج ١ ص ٢٥٨.

(**) أخرجه صاحب اللكنز برقم ٣٠٨٩١ وعزاه للرافعى.

حـــتى إِذَا أَنفَــذَ فِــيْــهِ حُكْمَــهُ
رَدَّ إِلَيْــهِ عَـــقْلَهُ لِيَــعْـــتَــبِــرْ
فلا تقلْ فـيمـا جَرَى كَـيْفَ جَرَى؟
فَكُـلُّ أَمْــرٍ بِـقَــضَـــاءِ وقَـــدرْ

فاحتزم أَهْلُ جـدة والحضارم، وبعض من المولدين الأجارم، وصاروا قـتلا ونهبًا فى كل جنس يـخـالف دين الإسـلام، ولم يـدروا عن شـروط المسـتـأمنين وأهـل الذمـة والمعاهدين، فى دار الإسلام، وأنه لا يجوز التعدِّى عليهم شرعا، وإن كان المذنب واحدًا فمـا ذنب الجنوس الأُخَرَ ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ﴾ (سورة الفرقان: ٤٤) فثارت الفـتنة ونهبت أموالهم بعد الذبح كأن لم يكونوا.

وكان البـاشا والى جِـدة وهو محمـد نامق باش مكة المشـرفة، حتـى خلت جدة من الفرنج أجمع، مـنهم من أسلم، ومنهم من أُسِر، ومنهم من تردى وقتل الجـميع، ثم بعد شهـر أو أزيد أتى مركب فـرنج حَرْبِىّ، ورمى بالقلل عـلى جدة، ففى ذلك الـيوم كم من هارب، وكم من خارج من مَـحَلِّه، وصفصفت أهلُ جـدة هاربين على مكة ونحوها، ولم يصب البلد من قللهم شىءٌ غير صهريج أتت عليه قلةٌ، ولأن قلعة جدة لم يكن عندهم أمرٌ بالرمى على المركَب المـذكور، وإلاَّ كان أهلكوهم من أول وهلة، ثم انصـرفوا بعد نزول الوالى، وبعض من أكـابر أهل مكة ورؤسائهـا، وساسوا الأمـور، وأخذوا عليهـم مكاتبة بفعلهم تعديهم، وذهبوا إلى حالِ سبيلهم.

ثم بعد أيام قـلائل أتى أمر من مولانا السلطان عبـد المجيد، بِرَدِّ أموالـهم والقصاص ممن فعل بهم، سياسة شرعا لكونهم من أهل الذمة، فأخذ الوالى المذكور من أهل جدة، والمولدين بها، اثـنى عشر رجلا، قطع رءوسهم ثم الشـيخ سعيد العـمودى، لكونه شيخ الحضارم، وعبد الله أغـا فران محتسب جدة، كذلك قطعت رءوسهـما بالبنط، وأُخِذ جَمْعٌ من أهل البلد والعامـة نحوًا من أربعين رجـلا سُفِّروا إلى (الأسـتانة) ثم أُطلقوا بعـد مدة ورجعوا سـالمين، ثم أُخذ تجـار جدة وشيخ السادة والقـاضى وسُفِّر، فرجع القـاضى بعد سبع سنين، وبعضهم توفوا بتلك البقاع، والحكم لله يفـعل ما شاء، وكانت أحوال مزعجة

لا يطيق القلب سماعها، تحتاج إلى مجلدات، وإنما ذكرت هذه زبدتها، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وفى سنة خمس وسبعين ومائتين وألف كان أول سنة مجىء محمل أهل مصر، من طريق البحر على جدة، ثم يطلع من البحر بموكبه من جدة إلى مكة، وهذا لم يُعْهد سابقا أبدًا مطلقا، وذلك بأمر والى مصر محمد سعيد باشا، حتى أهلكه الله بعد ثلاث سنوات سنة تسع وسبعين، رجع المحمل من البر على عادته من مصر إلى مكة.

وفى تلك المدة كثرت مراكب (بوابير) البحر فى بحر القلزم من جدة إلى السويس، حتى بلغت إلى ثلاثة عشر بابورًا، وهى للحجاج من أعظم المنن، لأنَّ الغالب لمن ركب فيها السلامة [ ][1] فجعل والى مصر وكيل (الكبانية) ببندر جدة المحمية رئيس التجار، معدن الفخار الذى رفعه الله بأعلى بساط، الأمير عليها الشيخ أحمد المشاط، حفظه الله، فكان يسوس أوامرها، وخصوصًا يرأف ببضائع التجار مع شدة أمره على المتوكلين، وبالحجاج المسافرين، بخلاف غيره من الأُمراءِ فإنهم لما أُمِروا أكلوا البراطيل والرشا، وزادوا على حجاج بيت الله حيث لهم جواسيس على الحجاج (إن كان تَبغا تنزل قبل غيرك وتسلم، هات النفر دينارا زايد على الكرا) فتجارتهم خاسرة، وبيعتهم بايرة، ولقد مدحت الشعراءُ هذا الأمير بقصائد أرسلت إليه من مكة ومن جدة ليس يحويها هذا السفر، فأجاز الوفاد، وأنجز السداد، ألهمنا الله وإياه الرشاد.

وفى سنة ١٢٨٠ جددت عمارة المسجد الذى على البحر المعروف بمسجد عكاش لأنه من المساجد القديمة، وأُتقن وأُحكم، وكذا الميضأة التى هى بجانبه، وكذلك ما اندرس من المسجد الذى بالقلعة، ويعرف بمسجد عمر.

وفى سنة ١٢٨١ فى شهر صفر ورد إلى جدة عساكر مصرية عزيزية، وأقاموا فى محل (القشلة) الخارجة، فقل الماءُ على أهل جدة وضاق بهم ذرعًا، كما قيل:

من غَصَّ دَاوَىَ بِشُرْبِ الْمَاءِ غُصَّتَهُ
فَكَيْفَ يَعْمَلُ مَنْ قَدْ غَصَّ بِالْمَاءِ

---

(١) كلمة غير واضحة فى الأصل.

واحتاج أهل جدة والقاطنين بها ذلك فأبعدوهم عنها فى محل بينهم وبين جدة ساعة ونصف عند آبار عذبة.

وفى سنة ١٢٨٣ كان قائم مقام جدة (نورى أفندى) رجل أصله من (الأرانطة) كان كاتبًا على (العُرضى) وقيل على القراية الأرانطة ثم صار على شونة مكة كاتب، وكان فى ضيق من العيش فساعدته الأقدار فتولّى قائم مقام الوالى جدة ثم جمعت له نظارة شونتها مع القائم مقام فمكث بها مدة سنوات فظهرت صولته وهابه الناس، ثم إنه انقطع لتمدن البلد فقطعها من الأرض طول ذراع (؟) من سائر البلاد، وشغل فيها أهلها، والذى لم يشتغل يؤجر بدلاً عنه وسَدَّ شيئًا من ساحل البحر، من ناحية (الكمرك) حتى أنَّه دخل فى البحر نحو خمسة عشر ذراعًا من كل ناحية من الطول، وأما العرض فجعلها نظير (مينة إسكندرية) وأتقن بناءَها وكانت أولا (السنابيك) تلصق فى الزلة، والبضائع تصير متراكمة وربما يتلف بعضها، وفى وقت الحج يضيق على الحجاج العبور، ثم من الجهة الشامية هدم السور وأدخله إلى جهة البحر، وسدَّ من تلك الناحية وساوى بين الأرض، ثم إنه سقف جميع أسواقها حتى صار الإنسان لا يمشى إلا فى ظل، وأمر بهدم العشش من الدكاكين والقهاوى، وجعله كله صندقة، فصارت من قبيل (غورية مصر) والسكرية، وجعلها ميزانا واحداً، وكان قبل ذلك دكان خارج، والآخر داخل، فوسع فى الصنادق كل ذلك بالقوة القهرية، وبالمداراة السياسة، وأمرهم بنقش الأخشاب، وكفَّ أهلها عن المقاتلة مع بعضهم، وطار صيته، ودخلت هيبته فى قلوب الرعية، حتى صاروا يخوفون به الأطفال، وأمر بقطع (كَدَاوى) من القمائم على بعضها كأمثال الجبال، فسدَّ بها البحر من ناحية الفرضة ثم من ناحية المعمار عمل سوقًا وبنى فيه دكاكين صغيرة وسقفه بالأخشاب ورونقه يعرف بالنورية، وجعله للخضرية والجزارة، وجعل فيه قهوة لطيفة، وكان طلب منى تاريخا لهذا السوق فقلت:

عَرِّجْ على أَرْجَاءِ جدةَ يا فتَى
وانظر إلى السُّوق الجديد المُثْبَتَا

طالع سعود اليمن فوق بساطه
يا حسنه لما رنَّا متلفتا
قد أسَّس البنيان (نورينا) الذى
ما مثله فى جدة أبدًا أتَى
(قائم مقام) يا له من همَّة
فى فعله الخيرات صيفًا والشتا
فى مدة السلطان عز نصره
(عبد العزيز) البَرّ، لى كُنْ منصتا
وأمير مكة والحجار بأسره
مولانا عبد الله سيدنا الفتى
و (وجيه باشا) واليا شيخ الحرم
من نال بالتحقيق قولا مثبتا
نورية ميمونة فى بلدة
تحوى رموز الدهر فى رسم متى
يحبوه ربى من مزيد عطائه
بعد الوفاة من الحسان الموقتا
لما أتمُّوا غَرْسَه أرِّخْ بِقِفْ
(نورى أفندى) قَدْ جناه وما عتى

ثم جعل سوقا خارج باب مكة من الصندقة الأخشاب بقهاوى، وغَيَّرَ القشاع.

وفى الحقيقة كانت جدة قبل هذه العمارة لا يطيق الإنسان فى مدة الصيف أن يخرج من بيته من رائحة النَّدَا الكريهةِ والزناخة والشمس المحرقة والعشاش، والقشاع، وغير ذلك فصارت كأحاد المدن الفائقة.

ثم إنه شَغَّلَ الناس فى عين أدخلها لها، وكانت قديمًا ثم بطلت، ثم انهدم مجراها،

فأمر على الناس وأهل الحواير فى الشغل فيها حتى أدخلهـا إلى البلد، وجعل لها (بارانا) للسقاية) فى ناحية العلوى، ثم أجراها إلى الفرضة حتى تصب فى البحر، ثم ضعفت وقل ماؤها لكنه يجرى قليلا، فـانتفعت به البلدة وأهلها، وإن كان ماؤها غـير عذب، لكنه يعين على المهنة والغسيل وغير ذلك.

ثم فى سنة ست وثمانين ومائتين وألف عمل صهريجا كـبيراً للدولة العلية باسمها أكبر ما يكون فى صهاريج جدة، وكل محبوس يشتغل فيه، وأتمه.

والحاصل أنَّ الرجل لمـا اجتهد فى عـمارة البلد ذلَّ له أهلها وهابه رعاعـها، لسطوته وتجبره وتـكبره ـ ترادفت عليه الرتب، وساعـفته الأقدار، حـتى صار فى رتبة (ميـرميران باشا) فكان يقال له: (نورى باشا) ونودى باسمه وخوطب بذلك وصار له معارف من رجال الدولة ومكانة وذلك لسبب كل قـادم إلى الحج وغيره يجرى عليه الضـيافات، ووضع يده مع التجـار على سائر المـرابحات، حـتى نمى ماله، وترقى فى حـاله وجلبت إليـه الهدايا والخيل المُسَـوَّمة والعربة وغير ذلك إلى أوائل سنة ١٢٨٨ عزل عنهـا وتولى محله (قاسم باشا) واليًا عليـها قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٤٠) ومع ذلك كان لا يوقر كبيرا ولا يرحم صغيـراً، فبهذا ترقَّى فى أسرع مدة، ولكنه صنع بعض خيرات بجدة، وكفَّ العامة عن التعرض لبعضهم ولغيـرهم، وسوَّى بين غنيِّها وفقيرها فى المقام، حتى تمَّ العام.

وبجدة من خارجها قشلة متَّسعة قريبة من ضريح السيدة حواء، للعساكر الشاهانية، كان بناها محمد على باشا، والى الديار المـصرية، وهى مكينة فى البنا، وطواحين الهواء ثلاث كان بناها المذكور أيضًا.

وأما سقياها فمن ماءِ المطر، ولهم خارجها صهاريج للتجار، تمتلئ من ماء المطر وبها حفر أيضًا تجمع الماء أيضًا.

(وإسكلتها) يمر عليـها من بضايع الهند واليمن ومصر وسـواكن ومصوع وبلاد السين (؟) والصِّين والـجاوى، قيل: إنهـا أكبـر إسكلة فى بلاد الاسلام بعـد إسكلة إسكندرية، وللبغاز باب لا يمكن دخـول مركب بغير ربان من أهلها، مـحكم بابها بين شعبتين علـيهما

علمان لمعرفة الدخول، بصناعة يعرفها أهلها، فهى للتجار دار مقام، وللمفاليس سجن لا يرام كما قيل.

وَجُدَّةٌ لِذَوى الأَمْوَالِ كَيِّسَةٌ
وَلِلْمَفَالِيْسِ دارُ الْهَمِّ والضِّيقِ
أَقَمْتُ فِيها مُضَاعًا بَيْنَ سَاكِنِهَا
كأنَّنى مُصْحَفٌ فى بَيْتِ زِنْدِيْقِ

وإلا ففى الحقيقة فهى أعظم ثغر من ثغور الإسلام، فكم من ولىٍّ وعالم وفاضل يريد الحج وقضاءَ المناسك يَمُرُّ عليها، ويدخل من «إسكلتها» كما هو الغالب، لأن الحجاج كلهم أضياف الله تعالى، وفى كنفه وأمنه، فهى مَمَرٌّ للأبرار، ومَقَرٌّ للتجار، ضاعف الله فيها البركات، وأظهر فيها الخيرات.

ومنها: أن الله تعالى جعل أكثر رِزْقِ أهل الْحَرَم من جهتها، فتراهم ينظرون ويتطلعون ما يقبل من جهتها.

ومنها: أن الله تعالى جعل سُقْيًا أهلها من ماء السماء وبركاتها وليس بها بئر ولا نهر عَذْبٌ غير المطر، ولهذا تراهم غالبا فى ضيق من الماء حتى أن بعض الفضلاءِ هَجَا أهلها نظرا لبعض الميل، وبعض المنكرات للاتعاظ والاستيقاظ، فقال:

يَمُرُّ السَّحَابُ علىَ جُدَّةٍ
بِمَاءٍ مَعِينٍ مِنَ الْمُعْصِراتِ
يُرِيْدُ الْهُبُوطَ فَلاَ يَسْتَطِيع
لِمَا حَل فِيْها مِنَ الْمُنْكَرَاتِ

ولقد شَطَّرْتُ هذين البيتين مع تذييل زائد:

يَمُرُّ السحاب على جدة
لَعَلَّ يكون بها الاقتِواتِ

فــــلا يمطـرن ولا يســـــمـــــحَنْ
ومــاءٍ مَـــعِـيْنٍ من المُـعْـــصـراتِ
يريد الــهـــبــــوط فـــلا يَســـتَـطيعُ
لقـــول إلَــهنَا فى المـــحـــكمــاتِ
ولو أن هــل القُــــــرَى اتَّــقَـــــواْ
لمـــا حَل فــيـــهَـا مِنَ الـمُنْكَراتِ
فَـــــلاَ تَغْــــبـــــان بِأحْـــــوَالِـهِمْ
ولاَ تَأمَــنَنَّ لِتِـلْكَ الـجِـــهَـــــاتِ
فَـيَـــا أهْلَ جُـــدَّةَ تُوبُوا قـــرِيبًـــا
لَعَل يُـصِـيـــبُــهـا مَـــاءُ الْفُـــرَاتِ

وقد قلت فى ذلك مادحًا لماءِ المطر وما هنالك، فقلت أيضًا:

إنْ رُمْتَ إدْرَاك السَّـــعَـــادَة والْمُنَى
وأرَدت إلقــاء القـســـاوة [والعنا][1]
فـــعَلَيك بالــمــاءِ القـــراح بجـــدة
مـاء الســمــاء وأنســه المــســتــوطنا
واشْـرَبْ هَنِيئًـا سيِّــدى لك بالشفـا
مع صح عافية تقيلك من ة [ضَنَى][1]
واطْرب على شـجن البحـار بحيِّـها
تلقى سرورا فى حبور ة [والْهَنَا][1]

وأما أسواقهـا فأولها وأعلاها سوق النَّدَا، وسُمِىَّ به لنداوة مـا يراد منه، ووجوده فيه وتَطَرِيّه، وفـيه يقـول الفاضــل الأريب، والجِهْـبِذ الكامل الـكاتب الأديب الشيخ مـحمـد القفطنجى، حفظه الله:

(١) لم تظهر قوافى الأبيات الثلاثة فى النسخة المصورة، والإضافة يستقيم بها الوزن والمعنى.

سوق النَّدَا ما أَلْطَفَهْ
يا حُسْنَهُ زَايِدْ كمالْ
رُمْتُ الذَّهَابَ فَجُزْتُهُ
فَوَقَعْتُ فِى شَرَكِ الْجَمَالْ

ولقد شَطَّرْتُ هَذَيْن البيتين فقلت أيضًا:

سُوْقُ النَّدَا ما الْطَفَهْ
يُشْفَى بِهِ الدَّاءُ الْعُضَالْ
إنْ رُمْتَ قَطْفَ غُصُونِهِ
يا حُسْنَهُ زايدْ كمالْ
رُمْتُ الذَّهَابَ فَجُزْتُهُ
مِنْ أَجْلِ خَشْفٍ كالْهِلالْ
وَوَقَفْتُ أَنْظُرُ بَدْرَهُ
فَوَقَعْتُ فِى شَرَكِ الْجَمَالْ

أقول: وهو سوق مستطيل، فى غاية اللطافة، وبه بعض أحوِشَة التجار وغيرهم وأنواع الأقمشة والأطعمة.

وكذا سوق الجامع وسمى باسم الجامع المعروف بمسجد الشافعى، وهو من المساجد الشهيرة القديمة، وهذا السوق تقابله وأنْتَ داخلٌ من باب مكة، على جهة اليمين يسيرًا، مستطيل أيضًا، وفيه يقول الشاعر:

وَبِسوق جامِعِنا اللَّطيف تَزَخرفَت
أرُجَاؤُهُ بحمامة وقماريا
من كل غانيةٍ حوراء قاتله
بالأنس فاتكة تشير لِثالِيَا
الدر منحدر والبحر منفرق
فى وسطه رهج فى عرفه عَليه كماليا

وقلت فيه أيضًا:

* عجبا لسوق الجامع ولأُنسهِ المتجامع *

* يحويه كل لطيفـة مع كل حلو خالع *

* الله مـعلم أنّنى أهـوى لقـاء الجـامع *

ومنها: سـوق البُنْط، وهو سوق ظريف مـجمع الصيـارف، وفيه يبـاع السمك الطرىّ والتمـر الصفرى الْمُلَيَّفَ، وأنـواع سُبَحِ اليُسْـرِ والنُّقْلِ، وغير ذلك، وبحـذائه خان صغـير بسقيفة، يوصل لِسُوق الْحَرَاج، وفيه قال الشاعر:

* البُنْطُ سـوق لطـيف مُـحَـرِّكٌ لِلسَّـواكِنْ *

* الأَصْلُ فيـه ظريفٌ والأُنسْ فيه مَـسَاكِنْ *

* عند العوام خـريف والحوت فـيه رواكنْ *

* والتمر فـيه منيف نحو الصـيارف ساكنْ *

* يغـديك منه رغـيف بلين البـطن لكنْ *

* يكون معك حريف يأخذ ويعطى بواطنْ! *

والحاصل أن هذا السوق فى أيام الموسم يكون فى الازدحام الغاية مع كثرة الحجاج.

ومنها: سوق بَرَّهْ ـ أى خارج البلد ـ وهو خـارج باب مكة، وهو سوق طريف محتوى على أَبْنِيَةٍ ودكاكين، وسمى بذلك لكونه خارج البلد، وفيه يقول الشاعر:

ولسـوق (بَرًّا) أرجـو بِرًّا دائمًـا
يزكـو وينمـو بِرُّه المـتـواتِرُ
لله در السوق فى غسق الضُّحى(؟)
دومـا دوامـا نشـرهُ المـتـكاثرُ
من نحو مكة سوق جـدة قد غدى
يا حـسنه يـا أنسـه الـمـتـناثِرُ

ومنها: سوق الخاسكية، وهى شقايق نفيسة، وأحوال زكية، منيسة، قد تحلى عليها القبول، وتداومت الوصول والفصول، وفيها يقول الشاعر:

(خاسكية) بجدة منعمة
جلاَّسها كروضها فأنعم
وسوقها مزخرف منبسط
أرجاؤه مزخرف بالنعم

كيف لا، ولأجل مكة شرفت جدة، والفرع تابع لأصله، وقد تشرفت مجامع جدة لمكة، وما زالت مواسم المجد لذكرها متجملة، ومباسِم البلاغة بشفاه فرائدها مُقَبَّلة، وقُبَلُ الفصاحة بوجوه قلائدها مُستَقبَلَةٌ، لا يعرف لها مقتضيا ولا يعلم لها مستوجبا، إلا ما اشتهر بين الحاضر والبادى، حتَى أذاعها الولىُّ وأذعن لها المعادى، من إيثارها الخير بعد اختبارها، وإيلاء الصنايع إلى مستحقها، وما زالت نسيم بوارق مآثرها التى راقت، وبرود حدائق مفاخرها التى فاقت، شمول إحسانها المسفر عن فلق الصَّبّاح، ما استنفد شكرها واستغرق وسعها، وفى فلك بدرها أقول:

يا شَمْسُ جدة حَدثنى تَرَى عجب؟
مما جنانى وناجى البحر من فلقه

وأما أَحوِشتها المحتوية على قصور عوالى، ومرافق ومراجع ومجالس، وغير ذلك فهى لا تحصر، وتكاد مع عظمها [تشبه] بمصر.

فمن أكبرها وأعظمها الحوش المعروف بحوش الشريف، وهو قريب من البُنْط، بناه مولانا الشريف عبد الله ابن المرحوم مولانا الشريف محمد بن عَوْن أمير مكة والحجاز، وهو مُعَدٌّ للحجاج والتجار، مشتمل على مَحَلاَّتٍ على نفيسة وقصور عوالى، رئيسة.

وقال الأديبُ محمد أفندى الساعاتى مؤرخًا هذا الحوش:

خَيْرُ الْبِنَاءِ الذى عَمَّتْ منافِعُهُ
كُلَّ الْبَرِيَّة مِنْ نَاءٍ وَمَنْ دانى

كالرَّوْضِ قَدْ سَجَعَتْ وُرْقُ الوفُود به
كَـأنَّهـا طَرَبًا تُثنى عَلىَ البَـانِى

العَبْدَ لِيَّ الذى ....(١):

....

بِتـاجِ دَوْلَتِـهِ الإقْـبـضـالُ أرَّخَـهُ:
(أقَامَ هَذَا ابْـن عَوْنٍ مَلْجأ الـعَانى)

ومنها: حوش مثقال، وهو لأحد خواص الشريف غالب، أمير الحجاز سابقًا.

ومنها: حـوش الدولة، ومنها: حـوش أبو اليُسَر، وحـوش الصالحـة وحوش عُكاش وحوش النخلة.

وجملة أحواشها تنوف على مائة حوش، مشـتملة على قصور وبيوت مرونقة وأكشاك على البحر، من أنفسها كشك حوش الشرايبى، فهى نفيسةٌ أنيسَةٌ، وفيها يقول الشاعر:

أحـــواش جـــدة زخـــرفت
لمـــا رأتْ جُـــلاَّســـهـــا
قـــد رقـــقت أذهـانهـــا
لمـــا صـــفت أنـفـاســـهـــا

وأمَّا المـساجد فاشـهرها: مسجـد الشافعى، ذكـر ابن جبير فى رحلتـه أنه رأى بجدة مسـجدين ينسبـان إلى عمـر بن الخطاب ﷺ، أحدهما يقـال له: مسـجد الآبنُوس، وهو معروف، والآخر غير معروف(٢).

أقول: ولعله الذى يقال له الآن مسجد الشافعى. انتهى.

ومنها: مسجد عكاش، وهو من مساجد جدة القديمة.

(١) البيت غير واضح فى الأصل.
(٢) ابن جبير: الرحلة ص ٥٠.

وهذا المسجد هو الشهير بقول الغزالى فى «الإحيَاء»(١) فى (باب السماع) والإمام عز الدين بن عبد السلام فى كتابه: «حل الرموز ومفاتيح الكنوز» عن طاهر بن بلبل الهمدانى رحمه الله قال: وكان من أهل العلم والفضل أنه قال: كنت معتكفًا فى جامع جدة على البحر فرأيت طائفة تقول فى جانبى قولا ويستمعون، فأنكرت عليهم بقلبى وقلت: فى بيت من بيوت الله يقولون الشعر؟! قال: فرأيت النبى ﷺ فى تلك الليلة وهو جالس فى تلك الناحية، أى ناحية المسجد المذكور بجدة، وإلى جانبه أبو بكر الصديق ﷺ، وإذا أبو بكر يقول شَيْئًا من السماع، والنبى ﷺ يسمع منه ويُصْغِى، ويضع يده على صدره كالمتواجد، فقلت فى نفسى: ما كان ينبغى لى أنْ أنكر على هؤلاء القوم الذين كانوا يسمعون، فالتفت إلَىَّ رسول الله ﷺ وقال: هذا حَقٌّ بِحَقٌّ، أو قال: حَقٌّ مِنْ حَقٍّ، شَكٌّ من الراوى. انتهى.

ومنها: مسجد الحنفى، وهو قريب من قصبة الهنود، وهو مسجد عظيم الفضل من المساجد القديمة أيضًا، تقام فيه الجمعة والجماعة.

ومنها: مسجد سيدنا عثمان بن عفان، جهة القلعة.

أقول: ولعله المذكور فى قول ابن جبير بمسجد الآبُنُوس.

وكذا مسجد الباشا، ومسجد المغربى جهة باب مكة، ومسجد المعمار، وهو مسجد لطيف تقام فيه الجمعة أيضًا، ومسجد الحضارم وهو جهة سوق النَّدَا وغير ذلك.

وأما الزوايا(٢) فهى تنوف عن المائة، منها: زاوية السادة الشاذلية، نفعنا الله بهم،

(١) إحياء علوم الدين ج ٦ ص ١١٢٣.

(٢) معروف موقف علماء المسلمين المحققين من الزوايا ومن أصحاب الزوايا، فقد ابتلى المسلمون بطائفة من هؤلاء انتسبوا للتصوف، وهم على جانب عظيم من جهل أصول الإسلام، وعن طريق هؤلاء وأمثالهم انتشرت البدع والخرافات.

وقد طهر الله ـ وله الحمد ـ بلادنا ـ من هذه الزوايا، ومن جميع ما ابتدعه أهلها فى الدين.

والغاية من دراسة التاريخ العظة والاعتبار، وهذا مما يدفع إلى نشر أمثال هذه الكتب على ما فيها للاتعاظ والعبرة، وإدراك ما أنعم الله به علينا من نعمة أعظمها السلامة من البدع والخرافات (حاشية المطبوع).

بحارة اليمن، بناها العارف بالله تعالى شيخنا السيد محمد بن محمد الفاسى الشاذلى المغربى، فى سنة تسع وسبعين تَمَّ بناؤها، وهى وراء القشلة من جهة البحر، يذكر فيه الله تعالى، وهو مجمع للفقراء الصادقين، والأولياء العارفين، نفعنا الله بهم أجمعين.

وفى سنة ثمانين زيد فيها البناء والإتقان فأرسل إليها شمس الأقران العالم العامل الأخ فى الله سيدى محمد ابن الفاضل العلامة سيدى الشيخ محمد العزب الشافعى المدنى عالم المدينة المنورة تاريخًا يقول فيه:

إن جَنَّ ليلُ الحادثَات وعسعسا
والقلب من رَيْنِ المعاصى قد قسا
وعجزت عن إصلاحه وعلاجه
وتزايد الوجد الشديد مع الأسا
فانهض إلى غوث الأنام المنتقى
فَبِرِشده صبحِ الفلاح تنفَّسَا
هو شيخنا الفاسى محمد من سما
طَوبَى لمن بِسِنىِّ سيرته انتسا
قطب الورى للشاذلىِّ خليفة
يحكى البدور إذا الدُّجَا قد أغلسا
لاَ غَرْوَ جَمع الجمع بعض صفاته
فمقامه فى الحضرتين تقدسا
شمس العوارف والحقيقة والهدى
قد شاد رَبْعا بالمعارف أنفسا
وبه زوايا العارفين تعمرت
يكفيك زاوية بها قد غرسا
فلقد كستها حُلَّةٌ أسراره
فتكاملت أنعِمْ بذلك مِنْ كِسا

فَـــأمُمْ رُبَاها والتـــمِسْ لى دعـــوةً
فَـعَسى بهــا يحـيـا الفواد عَـسَى!!
وَعُـبَـيْدُ كُـمْ نَجْلُ الملقَّب بالْعَـزَبْ
يرجـــو يكون بِذِكْـرهَـا مُـتَـأنِّـسَـا
أنَّى لَهُ أنْ يـســتطيع مُــؤرِّخَــا:
(وعلى التُّـــقى بنَيـانُهـا تَـأسَـسَـا)

= ١٠٧ + ٥٣٢ + ١١٩ + ٥٢٢ = ١٢٨٠

فهرس الفهارس

١- فهرس الآيات القرآنية

٢ - فهرس الأحاديث النبوية

٣ - فهرس الأعلام

٤ - فهرس الأمم والطوائف والجماعات ونحوها

٥- فهرس البلدان والأمكنة

٦- فهرس الأيام والغزوات

٧ - فهرس الكتب الواردة فى متن الكتاب

٨- فهرس الألفاظ الاصطلاحية

٩ - فهرس الأشعار

١٠- فهرس المصادر والمراجع

١ - إحياء علوم الدين: الغزالى (محمد بن محمد أبو حامد ت ٥٠٥ هـ) طبعة دار الشعب، القاهرة.

٢ - أخبار مكة: الفاكهى (محمد بن إسحاق، من علماء القرن الثالث الهجرى) مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ١٩٨٦م.

٣ - الأعلام: الزركلى (خير الدين) طبعة بيروت ١٩٦٩م.

٤ - الإعلام بأعلام بيت الله الحرام: النهروالى (محمد بن أحمد المكى ت ٩٨٨هـ) لايبزج ١٨٥٧م.

٥ - إهداء اللطائف من أخبار الطائف: العجيمى (حسن بن على ت ١١١٣ هـ) طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٦م.

٦ - تاريخ الطبرى (محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ) دار المعارف بمصر ١٩٦٠م.

٧ - حسن القرى فى أودية أم القرى: ابن فهد (جار الله محمد بن عبد العزيز ت ٩٥٤ هـ) طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٠م.

٨ - خريدة العجائب وفريدة الغرائب: ابن الوردى (سراج الدين أبو حفص عمر ت ٨٦١هـ) دار الشرق العربى، بيروت ١٩٩١م.

٩ - رحلة ابن جبير (محمد بن أحمد الكنانى ت ٦١٤ هـ) القاهرة ١٩٥٥م.

١٠- رسالة فى فضل جدة: ابن فهد (محمد بن عبد العزيز ت ٩٥٤ هـ) مجلة الخليج للدراسات العربية.

١١- السلاح والعدة فى تاريخ بندر جدة: ابن فرج (عبد القادر بن أحمد ١٠١٠هـ) طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٧م.

١٢- سنن الترمذى (أبو عيسى محمد بن عيسى ت ٢٧٩هـ) بيروت.

١٣- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام: الفاسى (تقى الدين محمد بن أحمد ت ٨٣٢ هـ) بيروت ١٩٨٥م، وطبعة مكتبة النهضة الحديثة بمكة ١٩٩٩م.

١٤- صحيح مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى ٢٦١ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، طبعة دار الحديث، القاهرة ١٩٩٦م.

١٥- العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين: الفاسى (تقى الدين محمد بن أحمد ت ٨٣٢هـ) القاهرة ١٩٦٠م.

١٦- الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة: الشوكانى (محمد بن على ت ١٢٥٠هـ) مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٦٠م.

١٧- القاموس المحيط: الفيروزابادى (محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ) القاهرة ١٣٣٠ هـ.

١٨- كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال: المتقى الهندى (علاء الدين على ت ٩٧٥هـ) طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩م.

١٩- لسان الميزان: ابن حجر (أحمد بن على العسقلانى ت ٨٥٢ هـ) حيدر أباد، الهند ١٣٢٩ هـ.

٢٠- مجمع الأمثال: الميدانى (أحمد بن محمد النيسابورى ت ٥١٨ هـ) مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٥٥م.

٢١- المسالك والممالك: البكرى (أبو عُبيد: عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٧٨هـ) تونس ١٩٩٢م.

٢٢- المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها فى النظام المترى لفالترهنتس، عمان، منشورات الجامعة الأردنية ١٩٧٠م.

٢٣- ميزان الاعتدال: الذهبى (محمد بن أحمد ت ٧٤٨ هـ) مطبعة عيسى الحلبى، القاهرة ١٩٦٣م.

٢٤- النهاية فى غريب الحديث والأثر: ابن الأثير (المبارك بن محمد ت ٦٠٦ هـ) مطبعة عيسى الحلبى، القاهرة ١٩٦٣م.

٢٥- وفيات الأعيان: ابن خلكان (أحمد بن محمد ت ٦٨١ هـ) دار صادر بيروت ١٩٧٢م.

١٠ - فهرس المحتويات

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد / الطاهر
ت : ٥٩٢٢٦٢٠ فاكس ٥٩٣٦٢٧٧٠